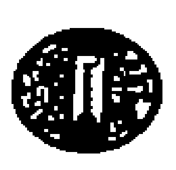
ثقافة الهند

Vol LI No 3 2000

المجلد ٥١ العدد ٣

٢م



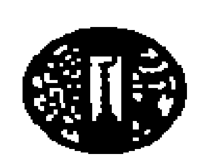
المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

محلة علمية، ثقافية، حامعة، فصلية

ثقافة الهند

المحلد ٥١ العدد ٣

٢م



المجلس الهندى للعلاقاب الثماقيه

لراد نوان، نيو نلهي

الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئ عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس بين ما ينشر عدة مجلات فمي العربية ثقافة الهند و في الانكليزية Indian Horizons و Africa Quarterly و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية Papeles de la India و في الالمانية Indien in der Gegenwart في الهندية Gagananchal و كلها يصدر لربع مرات في السنة

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر موجه إلى:

The Programme Director (Pub.)

Indian Council for Cultural Relations

Azad Bhavan, Indraprastha Estate

New Delhi 110002 (INDIA)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١ روبية	٢٥ روبية
١ دولارات	٤ دولارا	١ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤ جنيها

نشرها وطبعها السيد هيمانشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية
آزاد بوان نيو دلهي الهند
طبعت في مطبعة سابرارت ليتارميشنس برائيويت لميتيد
سي ٢ كانو سلمبار سلبول ناغر نيو دلهي ٤٩ الـ

رئيس التحرير البروفسور زبير احمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٥١ العدد ٣

٢م

محتويات العدد

كلمة التحرير

هذا العدد مثل الأعداد السابقة للمجلة تحتوي على عده مقالات هامه ومنها سفر راماينا جنوب شرقي آسيا وكتبه شيكاري موخو باديا ذكر فيه المكانة الدينية و الأدبية لراماينا - الكتاب المقدس لدى الهندوس - الذي يحوي قصة أو أسطورة راما الشهيرة و المقال يتضمن معلومات ممتعة و مثيرة عن شعبية هذه الأسطورة في بلدان جنوب شرقي آسيا بما فيها ماليزيا و اندونيسيا رغم أن أغلبيه سكانهما من المسلمين و قد ألفت عدة كتب حول هذه الاسطورة في اللغات المحلية في هذه البلدان ولا يقتصر تأثير الأسطورة في الفنون الأدبية و العرضية فقط و إنما يظهر بصورة ملموسة في الفنون التشكيلية أيضا ومما يدل على عمق تأثير هذه الأسطورة في الثقافة المحلية للمنطقة أن شعب بعض هذه الدول يعتقد أن أحداث القصة وقعت على أرضه لا في الهند.

الشاعر الفيلسوف العظيم لشبه القارة الهندية - اقبال لم يدرس الفلاسفة الغربيين أو المفكرين الاسلاميين فقط و انما تأثر بالنساك و المفكرين الهندوس على السوا هذا ما حاول اثباته سيد مظفر حسين برني الناقد المعروف للشاعر في مقاله تحت عنوان تأثير الفلسفه و الفكر الهنديين في شعر اقبال مؤكداً أن اقبال كان متأثرا لحد كبير بالمفكرين الهندوس مثل كابيل و شنكر أتشاريه و اعترف بتفوق الهندوسية في الشعور الفلسفي العميق و بأن بعض الطرق الصوفية اتخذ من الرياضات الهنديه وسيلة للوصول إلى مرتبة شهود الغيب - و قد حاول الكاتب أن يبحث عن آثار الفيداس و الاباينشاد و الفيدا و بهاغوت غيتا و كذلك الديانة البوذية في شعر اقبال خاصة في شعره الفارسي و بهذا الصدد نقل مجموعة كبيرة من أبياته و بالجملة فان الكاتب قام بكشف ميزات عديدة خافية لشخصية اقبال

في مقال آخر عنوانه غاندي كما تصوره الصحف المصريه مواقف ممتعة قد جمع د/ جلال السعيد الحفناوي معظم ما كتبته الصحف المصرية

عن المهاتما غاندي و الأبعاد المختلفة لكفاحه من أجل استقلال الهند و حركته الاصلاحيه الاجتماعية و عادلته اليومية و ما إلى ذلك. و تدل هذه الكتابات على مدى الاجلال و التقدير لشخصية غاندي بصفته زعيم الإنسانية جمعاء لدى المصريين

و يحتوي العدد أيضا على مقال حول أهمية اللغة العربية كتبه الأستاذ مختار احمد الفاروقي و أبرز فيه جوانب مختلفة جديدة لاهمية لغة الضاد مؤكداً أنه ما من لغه هندية الآ و هي متأثرة باللغة العربية في قليل او كثير و حتى أن ابجديه اللغه الانجليزية مستعارة من اللغة العربية

و في مقال وجيز آخر قام د/ محمد الزبيدي بتسليط الضوء على الجوانب المختلفه للتأثير الهندي في الثقافة العربيه خاصة في مجالات الحساب و الفلك و التصوف و الطب و الكيمياء و العقائد و الفلسفة و الأدب مما يدل على أن الهند لم تقتبس فقط من العرب و حضارتهم و إنما اسهمت في اثراء الثقافة العربية أيضا بعدة طرق

كما استعرض د/ ايه رحمان تطور العلوم و التكنولوجيا في الهند في الفترة ما بين القرن العاشر و القرن الثامن عشر و ذكر العوامل التي كان هذا للتطور رهن لها مشيرا إلى اسهامات الباحثين المتوافدين من البلدان العربية و إيران و آسيا الوسطى و الاهتمام الذي أعاره الملوك المسلمون لنشاط التأليف و الترجمة و ما الى ذلك

قضية البيئة و الحاجة الملحه لإصلاح الوضع البيئي يرتبط وثيق ارتباط بالحوائج الأساسية للإنسان، و لذا فإن هذه القضيه من القضايا التي تشغل بال الشعوب و الحكومات بالدرجه الرئيسية على الصعيد العالمي في الوقت الحاضر و الهند أيضا تزداد وعياً بهذه القضية، و في مقال تحت عنوان مساهمة الاوربيين في تطوير الفكرة البيئية في الهند حاول كالتنه رام تشندرا كوها سرد تاريخ نشأة الوعي البيئي و تطوره في الهند بمراحله المختلفة

د/ زبير أحمد الفاروقي

سحر راماينا جنوب شرقي آسيا

بقلم ستكاري موخوباديا

(العظمة و المجد للمولى راما الذي هو تجسيد لإله هاري و مثال لجميع أنواع السلوك و التصرفات الحميدة و أكبر سليل لأسرة راغو و بحر من الرحمة و الشفقة و الذي قطع على نفسه عهدا بمنع الشر و نصرة الحق و الصدق و العمل من أجل رفاهية الناس و الذي تطريه الآلهة و البشر على حد سواء)

(و كذلك ليكن المجد لأول شاعر الناسك فالميكي الذي ينتمي إلى عشيرة بلراسيتاس و الذي سرد قصة حياة راما و أعماله بكل نجاح و الذي تحول مشاعر حزنه لدى مشاهدته موت طائر على يد صياد - إلى بيت شعر و الذي تعم شهرته المناطق الثلاثة و تضاهي شهرة الفيل السماوي الأبيض و زهرة كندا)

تقديم

لم تزل قصة راما أو أسطورة راما مصدرا ثابتا و دائما للإلهام للمثقفين و للسواد الأعظم على حد سوا في بلدان آسيا الشاسعة منذ القرون و حظيت عددا أكثر فأكثر من الكتاب من اللغات المختلفة التي لا عد لها و لا حصر بفضل قداستها و مكانتها الأدبية التي لا مثيل لها في تاريخ آداب العالم

يعتبر راماينا" الذي وضعه فالميكي أقدم الأعمال الأدبية الباقية حول أسطورة راما، و يفيد التقليد الهندي أن فالميكي عاش في زمن راما أي معاصره

انه وضع راماينا حسب التقويم الهندوسي في "تيرتا يوغا" ومع أن بعض الناس يميلون إلى قبول هذا التقليد كما هو متداول ولكن البحوث المؤخرة اثبتت أن نص راماينا كما يوجد بين أيدينا يرجع تاريخه إلى القرن السابع او الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير

و يعني فالميكي بنفسه

ستستمر عملية سرد أسطورة راما (أي راماينا) بين الناس مادامت الجبال و الأنهار باقية على وجه الأرض (راماينا ٤ ٢٢٢)

نحن نعتقد أن فالميكي لم يقصد التفاخر في البيت المذكور أعلاه حول جودة تأليفه بل إنها لميزته الفنية و أصبحت أمنية الناسك حقيقة نبوية، و مع مضي سبعة و عشرين قرنا طويلا على تأليف فالميكي لـ راماينا لم تتقلل عظمته و تأثيره إطلاقا بما معناه أن راماينا سوف يتجاوز حدود الزمان و المكان و إنه سيتجاوز حدود للهند نحو الغرب و الشمال و الشرق

قد يكون القارئ متلهفا إلى معرفة المكان الذي ألف فيه فالميكي شعره الخالد و من أين بدأت قصة راما سفرها نحن نقرأ في راماينا

بعد برهة قليلة من وفاة ناردا ذهب الناسك فالميكي إلى شاطئ نهر تماسا الذي ليس ببعيد عن "جهنافي" (أي نهر الغنج)

يقع شاطئ نهر تماسا في وادي الهملايا، و هذا هو المكان الذي بدأ منه راماينا سفره و لا يخفى علينا أن النسخ المختلفة لـ راماينا" في اللغات الإقليمية على سبيل المثال "راماينا" من تأليف كامبار باللغة التاميلية، و راماينا" من تأليف كيرتيباسا باللغة البنغالية و رام تشاريتر ماس من تأليف تلسي داس باللغة الأودهية، و أديابتما راماينا من تأليف إيلوتاكان باللغة

المااليالمية وغيرها من النسخ ليست مجرد ترجمة راماينا لفالميكي بل انها تاليف و تكييمات إقليمية لاسطورة راما حسب الثقافات و العادات المحليه و هذا ينطبق تماما على كافة نسخ راماينا المتداوله في جنوب اسيا حيث عكل موضوع راماينا على ضو الأوضاع الاجتماعيه و التقاليد الثقافيه و المعتقدات الدينيه السائدة في تلك البلدان

التبت

من الممكن ان نبدأ قصة سفر راماينا من التبت حيث وضعت التاليف العديدة حول أسطورة راما، و أكتشفت ستة أجزاء من مثل هذه التاليف في دون هوانغ و يعتقد أن هذه التاليف وضعت بين السنوات ٧٨٧ ـ ٨٤٨ الميلادية و هذه النصوص غيرمكتملة لقد كتب السيد إف دبلو توماس مقالا عنها في عام ١٩٢٩م يحتوي على تفاصيل ترجمه ثلاثة أجزا غير مكتملة لراماينا باللغه التبتية، و هي موجودة في المكتبة الهندية بلندن و الجزء الآخر الذي محتفظ لدى المكتبة الوطنية بباريس تم دراسته و تجميعه ثم ترجمته إلى اللغه الفرنسية من قبل جنه كيه بالبير، و نشرت هذه النسخة في عام ١٩٦٣م و قام السيد جيه دبلو دي جونغ بجمع هذه الأجزا و نشرها في شكل نص مركب في عام ١٩٧٧م في مجله (Indo-Iranian Journal 19 1 2) و يتسم راماينا باللغة التبتية بالتشابه و التباين كليهما مع راماينا لفالميكي و تقول النسخة التبتية إن سيتا كانت بنت داسا غريفا (أي رافانا) و هجرت بناء على مشورة منجومي و ربيت على لدى الفلاحين كما قيل في هذه القصه إن الإله فيشنو وُلد في شكل راما ابن الملك باسرتها رضوخا لإرادة الآلهة لغرض القضا على "رافانا و ان راما سمح لأخيه الصغير "لكسمان تتولى الملكية كما جا فيها أن رافانا خلال اختطافه لـ سيتا لم يمسها بل نقلها مع الكوخ الذي كانت تسكنها

ميانمـــــــار

تـسـيـر الـسـجـلات الـتـاريـخـيـة و الـنـقـوشية الموجودة إلى أن الديانات البرهمية و البوذية دخلت بورما في وقت واحد و بشكل مندمج في القرن الثاني الميلادي و ثمة أسباب عديدة تدل على وجود و سيطرة التيار الفيشنوي من الديانة البرهمية منها بناء عدد من المعابد الفيشنوية و وجود مدينة باسم فيشنوبورا و خلال حكم الملك اناوراتا في القرن الحادي عشر الميلادي بني معبد فيشنوي في مدينة باغان حيث صنع تماثل لـ راما بين تجسيدات فيشنو الأخرى و بناء على هذا يمكننا أن نستنتج بأن أسطورة راما أصبحت معروفة جدا في بورما منذ القرن العاشر الميلادي على أقل تقدير

و أقدم وثيقة مكتوبة باللغة البورمية حول أسطورة راما هو كتاب راما فاستو الذي يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر الميلادي، يقدم هذا الكتاب قصة راما في زي بوذي و يصور "راما تجسيدا لـ بوذا و يذكر أن راما بعد تضرع الآلهة نزل من سماء توسيتا من حيث نزل جميع الآلهة البوذيين إن هذا الكتاب مقسم على سبعة كتب أو فصول، ستة كتب منه يحتوي على ما كتبه "فالميكي في كتابين بال خندا و لخودهيا خندا و الكتاب السابع يحتوي على باقي الأحداث تسود المشاعر المحزنة و البطولية هذا العمل النثري و وصف فيه راما كملك بوذي تقي، و تفيد نسخة بوذية أخرى لهذه القصة أن راما و سوغريفا لجتمعا تحت ظلال شجرة بوذية، و العمل الثاني حول أسطورة راما" باللغة البورمية هو كتاب مها راما الذي يرجع تاريخه الى الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، و في هذا العمل أعيدت قصة كتاب راما فاستو بعبارات بليغة و أساليب شيقة، و يعتبر راما ياغان الذي وضعه يوتوي في عام ١٧٨٤م قطعة ممتازة من الشعر، و إضافة إلى تلك يجدر

بالذكر كتاب راماسايي لمؤلفه مايو عام ١٧٧٥م و كتاب راماتون مايي لمؤلفه سايا هنوي عام ١٩٠٤م

هنالك أنواع كثيرة من العروض التمثيلية عن رامايانا في ميانمار و في القرن الثامن عشر وضعت تمثيلية خاصة للبلاط الملكي بعنوان بيورات عن طريق المرسوم الملكي و لكنها في الوقت الحاضر لم تعد تمثيلية البلاط فحسب بل انتقلت من البلاط الى الجمهور و لا تزال تستمر كتقليد حي تعرض من قبل جماعات و أندية عديدة أنشئت خصيصا لعرض ممثلة رامايانا

و كذلك توجد آثار أسطورة راما في الفن التشكيلي في ميانمار حيث صنع تمثال راما في المعبد الفيشنوي المعروف بـ نات هلونج كيونج في مدينة باغان كواحد من التجسيدات العشر لإله "فيشنو مع غوتم البوذا كالتجسيد التاسع له و في معبد باغودا الذي بناه الملك أناوراتا (١٠٤٤ ـ ١٠٧٧) صورت قصة دلسرتها جاتاكا بواسطة الفخار و من القرن الثامن عشر عندما تم إحيا موضوع رامايانا في ميانمار لقد أثر بشكل كبير في الأدب و النحت و الموسيقى و الرقص اليومي

ماليـــــزيا

نحن نعلم جميعا أن جميع سكان ماليزيا الآن مسلمون وصل الإسلام لأول مرة إلى ماليزيا في القرن الثالث عشر و خلال القرنين من الزمن تمت أسلمة البلاد برمتها و بالرغم من ذلك سكان ماليزيا لم يهجروا راما بل ازداد شغفهم برامايانا بشكل تدريجي و لم يهتم الكتاب المسلمون بكتابة موضوعات تتعلق بقصة راما فحسب، بل أصبحت التمثيليات أمثال و أيانغ كولت و وايانغ سيام و رقصات الماليية مع قصة راما" كأسطورة مرغوبة فيها

و معروفة جدا ما بين الماليزيين، و اعترفت وزارة الثقافة الماليزية رقصات رامايانا كبرنامج ثقافي قومي، و يمكننا أن نعتقد أن قصة "راما" لقد جرت علمتها في هذه البلاد لدرجة أصبح من الممكن إدخال "رامايانا الملايية" في المنهج المدرسي

لقد واصلت أسطورة "راما" تحقيق شعبيتها أكثر فأكثر في ماليزيا عن طريق التقاليد الكتابية و الشفهية كليهما و فيما يتعلق بالتقاليد الكتابي فهناك خمس و عشرون مخطوطة قديمة لـ "رامايانا" باللغة الملايية، كلها مكتوبة بالحروف العربية، لكنها لسوء الحظ لم تحقق كلها إلى الآن، و رامايانا باللغة الملايية عامة تدعى بـ "حكاية سري رام" لكنه ليس هذا عنوانا لعمل معين بل إنه عنوان عام لكل كتب "رامايانا" باللغة الملايية إن "حكاية سري رام" تقدم أسطورة راما الشهيرة التي وصلت الى ماليزيا من مختلف مناطق الهند بين القرن الثالث عشر و السابع عشر و عمل مهم آخر هو "حكاية سري راو" (أي رافانا) لقد أثر رامايانا أثرا كبيرا في التقاليد الأدبية لماليزيا التي تظهر بوضوح في "سير الخونغ" و هي حكاية شعرية ضخمة و لا تزال هذه القصيدة مخطوطة فريدة محفوظة لدى الجامعة الملايية

و مع أن كثيرا من المخطوطات التي أكتشفت كانت قد كتبت بعد وصول الإسلام إلى ماليزيا و احتوت على مواد تعود إلى عصر ماقبل الإسلام، لذا شهدت التغييرات لاحقا على ضوء المبادئ و المعتقدات الإسلامية، و ضمن هذه التغييرات أصبحت كثير من الحلقات الحديثة أيضا، و نسوق على ذلك مثالا مستمدا مما يلي: إن الله أرسل آدم إلى رافانا، و آدم خوّل رافانا الأرض و المياه و العالم السفلي و مملكة إندرا، و كان الملك داسرتها الحفيد الأكبر لآدم، و كانت له زوجتان إحداهما "ماندوداري" و الثانية "باليادري"، لقد طلب "رافانا" من

الملك باسرتها أن يسلم إليه زوجته الأولى ماندوداري التي صورها اكتسبت شكلا جماليا و سميت بـ ماندو داسي و أصبحت زوجة رافانا* و في قصة راما باللغة الملايية أن كل الشخصيات الرئيسة مثل راما و سيتا و رافانا و لاكشمن و هنومان يرتبط بعضها ببعض بالقرابة، تظهر سيتا كابنة رافانا كما تظهر شخصية لكشمان و هنومان كشخصيات قوية و في بعض الاماكن تظهر شخصية هنومان اعلى و أرفع من شخصيه راما نفسه

تايلانـــــــد.

قد لا يكون من العدل إذا اكتفينا بالقول إن اللغة التايية يوجد بها عدد وجيه من كتب راماينا و انواع كثيرة من الرقص و التمثيليات المبنية على موضوع راماينا بل يجب أن نقول إن الثقافة التايلاندية تسمع بروح اسطورة راما و تاريخ البلاد يزخر بالأمجاد الخالدة لـ راما

و يعرف راماينا عامة باسم راما كيرتي في كلا البلدين تايلاندا و كمبوديا و تكتب كلمة راما كريتي بشكل مشابه في لغة كلا البلدين و لكن تحت تأثير اللهجات المحليه إن التايلانديين يسمونه راماكين و الكمبوديين يسمونه راماكير و قد حوّل راماينا لفالميكي إلى ملحمة تقليديه جميله لتايلاند، و هذا التقليد يحمل الاسم العام راماكين اى عظمة و مجد راما

ينقسم تاريخ تايلاند إلى عدة عهود و سمي كل عهد باسم عاصمة مختلفة و انطلاقا من هذا نعرف إحدى العهود المبكرة بعهد سوخوتاي* لان مدينه سوخوتاي كانت العاصمة و يمتد هذا العهد من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر، و في هذا العهد أصبحت اسطورة راما معروفة جدا في تايلاند و كان راما يعتبر رجلا مثاليا و ملكا مثاليا، لذلك سمي أكثر الملوك شهرة في

هذا العهد بـ رام كابع هايبع في إحدى كتابات رام كابع هايبع نجد ذكر اسم رام عوما و في الاخرى وصف رلما كتجسيد لإله "نارايانا"

تدعى الفترة التاليه من التاريخ التايلاندي بعهد ايوث هايا لأن العاصمة كانت في مدينة ليوث هايا (أي أجودهيا) و يمتد عهد ليوث هايا من ١٣٥١م إلى ١٧٦٧م و في هـذا العهد نجد الكثير من الإشارات إلى أسطورة راما ، كما نجد ذكر رافانا ذا الرؤوس العشر و رلما و لكشمان في قصيدة بعنوان كلوبع بركات كابيع نام كتبت في هذا العهد، و اسم الملك لهذا العهد هو اوت هوبغ الملقب بـ راما تهيبادي (١٣٥١ ـ ١٣٦٩)، كما وضع الكتاب رلماكين في هذا العهد و لكنه غير مكتمل و يعطي الحلقة من إنزال سوبرناكا إلى موت "كومباكرنا و لنا عهد ليوث هايا جمعت تمثيلية بعنوان نانغ ياپي مبنية على فكرة راماكين سعيه كبيرة بين الناس

و اداة لحرى معروفة للتسلية في تايلاند هي رقصة خون في اللغة التايلنديه كلمة خون تعني القناع و في هذا العرض يستخدم الممثلون أنواعا مختلفة من الاقنعة ولكن في هذه الأيام لا يستخدم الممثلون الذين يمثلون أدوار راما و سيتا و "لكسمان" أية أقنعة أستحدثت رقصة خون لما حكم الملك راما تهيبادي الثاني بين (١٤٩١ ـ ١٥٢٩) و في هـذا العهد أصبحت رلماكين جزءا من الثقافة التايلاندية، و لذلك عندما دمرت عاصمة ليوث هايا من قبل الغزاة البورميين كان التايلانديون قلقين حول إنقاذ نصوص "راماكين

و تعرف الفترة اللاحقة بعهد راماكوسين أو "راتناكوسيندرا" او "بانكوك الاسم القديم لبانكوك هو راتناكوسيندرا الذي هو اسم العهد ايضا لقد بدا عهد بانكوك في عام ١٧٦٧م و لايزال يستمر و تسمى السلالة

الحاكمة التي تحكم تايلاند منذ بداية عهد بانكوك باسم سلالة شاكري تيمنا بالإله "فيشنو"، و كل ملك في هذه السلالة يلقب بـ راما الأول و الثاني و هكذا دواليك، و انهم يعرفون بهذه الألقاب اكثر من أسمائهم الشخصيه. لذكر على سبيل المثال أن اسم الملك الحالي لتايلاند هو بهومي بالا ادوليا تيج و لكنه يعرف باسم راما الحادي عشر

إن مساهمة السلالة الحاكمة الحالية في تأليف راماكين و تعميم الادوار و القيم التي تدعو إليها أسطورة راما كبيرة جدا، لقد قام الملك بوذا يوت فا شولالوك الملقب بـ راما الأول (١٧٨٢ ـ ١٨٠٩) بتأليف راماكين شعرا و تفتخر تأليفه هذا لكثر التأليف اكتمالا بين كافة التأليف الموجودة في اللغه التايلية حول أسطورة راما و يحتوي على قصة راما بأكملها. كما قام الملك بوذا لوتشيلا نابهالاي الملقب بـ راما الثاني (١٨٠٩ ـ ١٨٢٤) بتأليف موجز راماكين نثرا يستخدم نص هذا الموجز في التمثيليات الشعبية لمثال خون و لاكون ياي. و كان الملك فاجيرا بوذا الملقب بـ راما السادس (١٩١٠ ـ ١٩٢٥) عالما بارعا يعرف عدة لغات منها اللغة السنسكريتية و الالمانية و الإنجليزيه و الفرنسية كما كان على إلمام بسيط باللغة البنغالية أيضا. إنه ألّف كتاب "راماكين" الذي يتسم بالأسلوب الرفيع و القيمة الادبية و خير دليل على ثقافه عالمية، و جاء تأليفه هذا على عكس كتب راماكين السابقه متطابقا مع "رامايانا" لفالميكي إلى حد كبير، كما وضع بحثا ممتازا حول كتب رامايانا تناول فيه النسخ العديدة لـ رامايانا في اللغات المختلفة منها اللغة السنسكريتية و البنغالية و التاميلية وغيرها كما ناقش فيه الكتب حول قصة "فيشنو و هنومان"

لقد عرف الشعب التايلاندي نفسه بأسطورة راما لعدة قرون إلى درجة

ثقافة الهند

لم يكن بمعروف أن راماينا وضع أولا في الهند و باللغة السنسكريتية و اعتقدوا أن راماينا وضع أصلا في تايلاند و "راماكين التايلاندي يمثل قصة أصلية لـ راما كما اعتقدوا أن كافة الحوادث المذكورة في راماكين حدثت على أرض تايلاند و في الواقع أن الملك راما السادس قدم لأول مرة فالميكي من خلال بحثه المرموق إلى شعبه

سميت العديد من الأماكن في تايلاند بالأسماء المستخدمة في راماينا و نسوق على ذلك أمثلة ممتعة. لقد سبق لنا أن ذكرنا مدينة أيوت هايا (أي أجودهيا)، كما أن هناك بلدة اسمها لوب بوري (أي لافابوري) في تايلاند، يعتقد أن راما" بعد عودته إلى أجودهيا بعد الانتصار على رافانا" أراد مكافأة هنومان على خدماته الجليلة، و لهذا الغرض أطلق سهما و قرر بأن المكان الذي يسقط فيه السهم ستكون عاصمة هنومان فسقط السهم على بلدة "لوب بوري و نتيجة سقوط السهم أصبحت التربة بيضا و لازالت بهذا اللون لحد اليوم كما أن هناك هضبة مسطحة الرأس تدعى تشايابات يقال إن هنومان لما خرج إلى هذه الهضبة بحثا عن العشب الطبي المطلوب لإنقاذ حياة "لكسمان فنزل على رأس هذه الهضبة و اكتسح الغابات المجاورة بذيله الطويل بحثا عن العشب المنشود فأصبح رأس الهضبة مسطحا بفضل مثل جثة هنومان و كما أن هناك ثغرة كبيرة بجانب الهضبة تدعى "ساريبوري" و بهذا الصدد تفيد الحكايات الشعبية أن رافانا بعد اختطاف "سيتا كان يعود عربته بسرعة فائقة و لما وصل إلى هذا المكان اصطدم محور العربة مع الهضبة و أحدث حفرة كبيرة مازالت بادية للعيون و يدعي سكان تشون بوري بأن فالين ملك القرود خاض معركة مع ثورابي أو دوندوبي أي الجاموس العملاق و نتيجة لهذه المعركة أصبحت أراضي المناطق المجاورة حمرا اللون و لازالت على هذا اللون ليومنا هذا

و هناك عدد كبير من مثل هذه الحكايات التي نالت شعبية كبيرة بين الأوساط التايلاندية، و اطلع المثقفون التايلانديون على اسم فالميكي و كون رامايانا هندي الأصل بعد أن نشر الملك راما السادس بحثه المرموق عن "راماينا" ولكن السواد الأعظم من الشعب التايلاندي لايزال غير مستعد للتنازل عن حقه على أسطورة راما ، إن أثر راماينا لا يقتصر على الفنون الأدبية و العرضية فحسب بل يمتد إلى الفنون التشكيلية أيضا مثل الرسم و النحت و في عدد من المعابد توجد التماثيل و اللوحات المبنية على فكرة راماينا

لقد جرى تكييف و تحويل لقصة راماينا في تايلاند بطرق عديدة و بما أن هذه التغييرات كثيرة لا يمكن مناقشتها بإسهاب في هذا المجال إن الفرق الأساسي و الجدير بالذكر بين "راماكين التايلاندي و راماينا السنسكريتيه لفالميكي هو التغيير في أسماء الأعلام أي أسماء الشخصيات و الأمكنة و لو بقيت أسماء راما و هنومان في صيغها الأصلية عرفت عدة شخصيات بأسماء جديدة مثلا أهاليا بـ"كولاكانا و أنجانا بـ سواها و مانثارا بـ كوكي و كوسا بـ مانكوت و فالميكي بـ فاجمراغا و هلم جر كما كيفت بعض الأسماء السنسكريتية في التلفظ التايي مثل كلمة ساتورد لـ شاتر غانا و كومبران لـ كومبرا" و بيبهيك لـ بيبهيسانا و مانثو "مانثوداري"، و ذكر اسم رافانا" دائما كـ توتساكان و هي على الأرجح الصيغة التايية لـ"داسا كانثا"، و الانحراف الآخر الذي يلفت انتباهنا هو أننا في الهند نعلم أن هنومان" كان عزبا برهميا و لكن في إحدى كتب راماكين يوجد ذكر زواج هنومان" بشكل تفصيلي و كانت له علاقات مع عدد من النساء من العالم السماوي و الجني و البشري و كان له أولاد أيضا

و من الجدير بالذكر أن راماكين التايلاندي مهما كانت مصادره و مراجعه و مهما بلغت الانحرافات في سرد الوقائع يؤيد معظم المثل العليا

التي دعا إليها فالميكي و منها ما يخص بالملكية و قداسة العلاقات العائلية و إخلاص الزوجة و تفانيها لزوجها و نظرية التناسخ و العمل و انتصار الحق على الباطل وغيرها من القيم الخالدة التي مشتركة بين رامايانا لفالميكي و راماكين للملك راما الأول.

لاوس

لقد حققت أسطورة راما شعبية كبيرة في لاوس البلد الذي يقع في جنوب شرقي آسيا قرب تايلاند أكتشفت فيها نسختان من كتاب رامايانا في اللغة اللاويه إحداهما قصيرة و الثانية طويلة، و كلتاهما مكتوبتان في نثر منمق تسمى الأولى منهما بـ عماي دوراني و الثانية بـ فرا لاك فرا لام أو لام سادوك" (أي راما ـ جاتاكا)، لقد تم تحقيق و ترجمة هذين النصين في الهند من قبل البروفيسور ساجيدلاند سهاي إن كلمة فرا" في اللغة التايية و اللاوية تعني "السيد و كلمة لاك تعني لكسمان و لام تعني رام لذا يمكن ترجمة اسم النسخة الثانية بالسيد لكشمان و السيد راما و تقول النسخة الثانية أن راما ليس تجسيدا لإله فيشنو بل البوذا، غير أن مثل هذا الكلام لا يمنع البوذيين اللاويين من إبداء احترامهم لـ راما

تشتمل النسخ اللاوية لكتاب رامايانا" على انحرافات عديدة مثيرة للاهتمام، لكنني بذكر الثلاث منها على سبيل المثال، الأولى أن رافانا" هو ابن شقيق الملك داسرتها"، و الثانية عندما تناول راما خلال هيامه في الغابة بحثا عن سيتا ثمر شجرة معينة فتحول إلى قرد، ثم التقى بامرأة اسمها منتسي التي كانت قد تحولت إلى قردة (انثى) نتيجة تناولها ثمر نفس الشجرة فتزوج راما معها و ولد هنومان" من بطنها، و الثالثة أن راما قتل فالين و تزوج مع أرملته و ما من شك أن قصة راما أدت إلى ظهور أسلوب خاص في الرسم

و البحث يمكن ملاحظته في لوحات المعابد و الصور المنتشرة في أنحاء البلاد.

كمبوديـــــــا

يرجع تاريخ العلاقات الثقافية بين الهند و كمبوديا إلى القرن الثاني الميلادي و تعرف كمبوديا راماينا و مهابهارتا و براناز منذ قديم الزمان نجد ذكر راماينا في عبارة منقوشه تعود للملك بهافافارمان الذي عاش في القرن السادس الميلادي

يتجلى لنا من هذه العبارة المنقوشة أن راماينا الأصلي باللغه السنسكريتية كان معروفا في كمبوديا و كان هناك تقليد لتلاوته في المناسبات الدينية في القرن السادس الميلادي

أنشئت مملكة كامبوجا إثر ثورة قامت ضد مملكة كامنا التي كانت تمتد إلى بعض أجزاء كمبوديا و فيتنام و لاوس الحالية و كثير من أحداث قصة راما مكتوبة على جدران معابد أنكور عاصمة كامبوجا لذلك تسمى راماينا الكمبودي بـ راما كيرتي أي معناه مجد راما و هو ينطق في لغة Khmer راماكر" أو راماكير و يعتقد أن عددا لا بأس به من راماكيرات ألفت في كمبوديا و أشهرها ألف في القرن السادس عشر و المخطوطه التي اعتمد عليها في تحقيق النص و نشره يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن السابع عشر، كما تمت ترجمة النص إلى اللغه الفرنسيه من قبل المحقق و إضافه إلى ذلك اكتشفت مزيد من النسخ التي تزخر بالانحرافات و التغييرات في نتائج الأحداث و مع ذلك نسخ Khmer لأسطورة راما تعتمد إلى حد كبير على راماينا لفالميكي.

يعترض أن المؤلف المجهول لنسخة "راماكير" الشهير كان بوذيا، لأنه مع التراسه بالتقليد الهندي يعترف بأن "راما" تجسيد لإله "فيشنو" و في الوقت نفسه يقدم "راما" كبوذي و يستخدم المصطلحات البوذية المعتقدة في الأماكن المختلفة

يتألف الكتاب "راماكير" من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يسلط الضوء على ولادة "راما" و الشخصيات المختلفة التي توجد في "راماينا" و انتصار "راما" على الأعداء المختلفين و الجزء الثاني يتناول أحداث نفي "راما" و اختطاف "سيتا" و معركة لانكا و هزيمة "رافانا" و عودة راما إلى أجودهيا، بينما الجزء الثالث يروي قصة إبعاد "سيتا" و ولادة "لافا" و "كوشا" المعروفين بـ "راما لاكشا" و "حوما لاكشا" في اللغة الخميرية

مع أن "راماكير" مصدره "رامايانا" لفالميكي، إلا أنه تم تكييف الفكرة الرئيسية مع التقاليد الثقافية المحلية مما أدى إلى دخول عدد من الانحرافات و المبتدعات فيه، و الشخصيات الرئيسية في راماكير هي راما و رافانا و ماندوداري و سيتا و سوغريفا و هنومان و يلاحظ أنه كلما ترد أسماء راما و لكشمان و أسماء الآلهة في "راما كير" تبدأ بكلمة "براه" و هي كلمة مشتركة بين اللغات التايية و اللاوية و الخميرية ترادفها في اللغة السنسكريتية كلمة "شري" التي معناها "السيد" و الكلمة تنطق "فا" في كل من اللغة التايية و اللاوية بينما تنطق "برياه" في اللغة الخميرية، و يرى العلماء أن كلمة "براه" مشتقة من كلمة "فارا" السنسكريتية، و كذلك تبدأ أسماء كل من "سيتا" و "ماندوداري" و النساء النبيلات الأخريات بلقب "نانغ" ترادفها كلمة "ديفي" في اللغة السنسكريتية التي معناها "السيدة"

يمكننا الآن مناقشة الميزات البارزة و المبتدعات التي تزخر بها قصة راماكير"، و من بينها أن الإله فيشنو نزل في صورة راما و صاحب الإله لكين غاميسو وُلد في شكل "رافانا و كانت "سيتا في ولادتها السابعة زوجة الإله إندرا و تعرضت لإهانة على يد رافانا فأرادت أن تنتقم منه و لتحقيق هذا الغرض وُلدت في صورة ابنة له و لكن رافانا" عملا بنصيحة أخيه المنجم فيبهيسانا وضعها في صندوق و اغلقه ثم حمله إلى مكان بعيد و دفنه في الأرض هناك، ثم اكتشفها الملك "جاناكا و اخرجها من الأرض لتجيت زوجه ناسك "سوغريفا و فالين من نطفة ليتيا و إندرا على وجه الترتيب فلما علم الناسك عن علاقة زوجته السرية مع ليتيا و إندرا لعن الولدين فصارا قردين و وُلد هنومان من بطن سواها أخت سوغريفا و فالين و اسم ابنه مارليتا و كان هنومان جميلا أبيض اللون

أسفر التأثير البوذي في راماكير عن إضافة جديدة في القصة و هي أن راما التقى أيام نفيه بالنساك البوذيين و الملك البوذي للغابة الذي مد اليه يد الصداقة فاستجاب له "راما بكل سرور و جعله أخا له

و على كل إن الكتاب راماكير يتبع رامايانا" لفالميكي إلى حد كبير في سرد أحداث صداقة راما مع رؤساء القرود و بعثة هنومان" إلى لانكا و بنا الجسر، و قيام راما و لكسمان بغزو لانكا، و انضمام فيبهيسانا إلى معسكر "راما ، و مقاتلة إندرلجيت و كومبا كران، و مقتل رافانا"

بعد مقتل "رافانا" و المحاكمة النارية لـ "سيتا رجع راما إلى أجوديا و تم تتويجه كملك، انه أهدى جزءا من مملكته إلى هنومان" مكافأة على خدماته الجليلة و هكذا أصبح هنومان" حاكما لجزء من المملكة

و انشغل بإدارته، و لكنه لم يتخلص من عاداته القروية، فكان يخرج النمل من
نسبه و يقبلها و هذا جعله موضع سخرية أمام رعيته، فاضطر إلى إعادة
المملكة الى "راما"، و على كل، بنى له راما مدينة أخرى فيما بعد، يوجد هذا
الحادث بشيء من الاختلاف في الكتاب راماكين التايلاندي أيضا

في بعض النسخ المحلية الهندية لأسطورة راما قصة مفادها أن سيتا"
بنا على رغبة امرأة رسمت صورة رافانا ، و لما اطلع عليها راما بدأ يشك
في إخلاص سيتا و وفائها و أمر "لكشمان أن يتركها في غابة. لقد أضفى
مؤلف الكتاب راماكير على هذه القصة ثوبا جديدا، و يقول عندما خرج راما
مع سيتا إلى الغابة في جولة استمتاعية، تسلل امرأة قريبة لـ "رافانا" متنكرة
الى الحاشية المسامة لـ سيتا و طلبت منها رسم صورة رافانا على لوح
حسبي فاستجابت سيتا لرغبتها و فيما بعد بذلت جهودا كبيرة لمحو الصورة
و لكنها منيت بالفشل بسبب القوة السحرية التي كان يمتلكها "رافانا
فاضطرت إلى إخفاء الصورة تحت فراشها و اطلع عليها راما" و شك في
اخلاصها و فسلب سيتا في إثبات براءتها، فغضب راما و أمر "لكشمان"
بأن يأخذها الى الغابة و يقتلها و يعود إليه بقلبها، و لكن "لكشمان" كان واثقا
ببراءتها و عفتها، لذا تردد في قتلها وقتا طويلا من الزمن، و لكنا عندما ألحت
و أصرت فضرب عنقها بالسيف و لكن السيف بدلا من أن يقتلها، تحول إلى
اكليل من الزهور حول عنقها، و لما رأى إندرا" هذه المعجزة، ظهر في شكل
ظبي فقتله "لكشمان" و جاء بقلبه الأسود إلى راما و لما رأى اللون الأسود
ليقن بأن سيتا كانت قد اقترفت الذنب فعلا و ارتاح بأنه كان على حق في
معاقبته لـ سيتا"، و في عوض ذلك ظهر إندرا ثانية في شكل جاموس
و قادها إلى صومعة فيجابريت و ما هو إلا فالميكي غير أننا لا نعرف لماذا

سمي فالميكي بـ "فيجاريت" في الكتاب "راماكير" و في هذه الصومعة انجبت "سيتا" ولدا كان يشبه راما في ملامحه البدنية فسماه الناسك راما لاكسا مضيفا اسم "لكشمان" إلى إسم راما ، و ما بقي من القصة يتوافق مع الكتاب أترا خاندا" لفالميكي ببعض التغييرات يستهان بها تماما نجد في الكتاب أترلخاندا لفالميكي أن سيتا ولدت توأمين سماهما الناسك كوسا و لافا ، بينما نجد الحادثة نفسها في الكتاب "راماكير أن سيتا خرجت مع ولدها ذات يوم إلى النهر لتستحم فيه و كان الناسك لذاك مستغرقا في مراقبه عميقة و لم يلاحظ ذهاب الطفل مع أمه إلى النهر فلما فرغ من المراقبة و لم يجد الطفل فخلق طفلا آخر بفضل قوته اليوغانية (أي دعائية) و سماه جوبا لاكسا" و يوجد ذكر هذه الحادثة في بعض النسخ الإقليمية لـ راماينا أيضا و أما الحوادث الأخرى أمثال تضحيه اسوامسدا التي قدمها راما و قتال جيشه مع كوسا و لافا و دخول سيتا في بطن الارض فورد ذكرها بعد فالميكي

نشأت و تطورت أنواع كثيرة من الموسيقى و الرقص المبنية على فكرة راماينا في كمبوديا، كما زخرفت جدران المعابد و الأديرة و القصور من الرسوم المستوحاة من أسطورة راما، و في الواقع أن أسلوبا فريدا من الفن العرقي خرج إلى حيز الوجود بفضل شعبية راماينا في البلاد.

و إن كان قد ذكر في الكتاب راماكير" أن راما تجسيد لإله فسنو و بوذي، و أشيد بمجده كعبقري و ملك مثالي و أبرزت مزاياه البشريه و سماته الإنسانية، و في نفس الوقت لم يتردد الشاعر في تسليط الضو على الهفوات البشرية في شخصية راما و بالأخص عجلته التي تلائم فردا من افراد طبقه "تشاتري ، و مع ذلك فقد صورت شخصية كل من سيتا و راما بأنها

نموذجية و مثالية و الميزة الفريدة التي يتسم بها الكتاب "راماكير" هي أن التقاليد الثقافية البرهمانية و البوذية كلتيهما ذكرت فيه دون أدنى تعارض أو تناقص

إندونيسيا

نتناول الآن وضع أسطورة "راما" في إندونيسيا، بلاد مجموعة من الجزر، لدينا شواهد أثريه و براهين منقوشية تكفي دلالة على وصول اللغة السنسكريتية و المخطوطات الهندية إلى إندونيسيا في القرن الواحد الميلادي إبان حكم الملك لحي كاكو ، و يزيد هذه الشواهد قوة وجود الكلمات السنسكريتية بكثرة في اللغة الكاويه المستخدمة في إندونيسيا في عصورها الوسطى و في لغتها الحديثة بهاشا إندونيسيا

كان الشعب الإندونيسي في قديم الزمان على الديانة الهندية و هي البرهمانية و البوذيه و لكن في القرن الثالث عشر الميلادي لقد اعتنق الشعب الإندونيسي برمته الدين الإسلامي ماعدا سكان جزيرة بالي و على الرغم من هذا التغيير العقائدي لايزال راماينا يشكل جزءا لا يتجزأ من حياتهم الثقافية و الأدبية

لا نستطيع القول بشيء من الثقة بأنه متى دخلت أسطورة راما إندونيسيا و لكننا على يقين أن التماثيل المبنية على فكرة "راماينا" التي توجد في معبد "سيفا" بمدينة برامبانان في جزيرة "جاوا" يرجع تاريخها إلى القرنين السابع و الثامن و يبدو أن اسم المدينة "برامبانان" خرج من كلمة برام فانام التي تعرف في الوقت الحاضر باسم "يوغيا كارتا" كانت عاصمة جاوا في تلك الزمان، و تخبرنا تماثيل معبد سيفا أن البوذية و السايفتية

تعايشت معا بانسجام تام في تلك الفترة، و كل معبد في إندونيسيا يعرف باسم عام تشاندي ، و يعرف معبد سيوا في مدينة برامبانان" باسم "تشاندي لارا جونغرانغ" و ثمة حكاية شعبية شيقة وراء هذه التسمية، يقال كانت لملك "راتوباك" بنت اسمها لارا جونغرانغ و بناء على أمر من هذه الأميرة قام عفريت اسمه باندونغ بوندوسو ببناء هذا المعبد و نحت ألف تمثال في ليلة واحدة فقط.

أسطورة رلما كما صورت في تماثيل هذا المعبد توافق تقريبا بالتقليد الهندي، تنقسم هذه التماثيل في اثنين و أربعين مجموعة في المجموعة الأولى الإله فيشنو مستلق على سريره من الأفعى و يعبده الملائكة و هو مجسد في شكل أولاد الملكات الثلاث للملك داسرتها و تحتوي تماثيل هذه المجموعة على مغامرة راما و لكشمان مع فيسوامترا لهزم العفاريت و قيام راما بكسر قوس سيفا في بلاط الملك جاناكا و زواج راما مع سيتا و مجابهته مع بارسورام، و كذلك الاستعدادات لتتويج رلما، و نفي راما بناء على رغبة الملكة "كيكئي"، و وفاة الملك دسرتها الحزين و قيام الأمير بهارتا بتنصيب نعال رلما الخشبية، و قيام لكشمان بقطع أنف و أذن "سوربانلخا و قيام رافانا باختطاف سيتا، و القتال بين رافانا و جاتايو، و صداقة راما مع سوغريفا و هنومان، و بعثة أنغدا إلى لانكا، و أما الحوادث الأخرى ابتداء من حرب لانكا حتى عودة رلما إلى أجوديا و تتويجه كملك فهي منحوتة في معبد براهما المجاور، و القصص الموجودة في الكتاب لترلخانيا كلها تقريبا بما فيها نفي سيتا"، و ولادة و تربية لافا و كوسا و قيام "لافا و كوسا" بتلاوة رلماينا على متن الجواد، و تضحية "راما"، و وفاة "راما كفيشنو و وصول لافا" إلى العرش و وزارة كوسا" إلى ما ذلك منحوتة في هذا المعبد و في هذه الفترة

التي ظهرت فيها هذه التماثيل كانت سلالة "سانجاي" السايفتية تحكم على شمال "جاوا" بينما سلالة "شيلندرا" البوذية كانت تحكم على الشطر الجنوبي للجزيرة، ولذا نرى في هذه التماثيل المبنية على فكرة "رامايانا" امتزاجا بين الأساليب السايفتية و البوذية

و توجد حوادث كثيرة من "رامايانا" منحوتة في معبد "سيفا" بمدينة "باناتران" في "جاوا" الشرقية و الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر و في ترتيب تماثيل "رامايانا" اختلاف بسيط بين هاتين المدينتين، فإن القصة في معبد "باناتران" ناقصة لأنها تبدأ من وصول "هنومان" إلى "لانكا" و تنتهي بمقتل "كومباكرن" توجد تماثيل "رامايانا" في عدة مكان في "جاوا" و "سيلييبز" و "بالي" و يستمر هذا التقليد ليومنا هذا

فضلا عن هذه التماثيل، وردت أسطورة "راما" في الأعمال المنقوشة و الآثار الأدبية، و لـ "رامايانا" مكان مرموق في نقوش الملك "سانجاي" من القرن الثامن، و يذكر لوح نحاسي يرجع تاريخه إلى عام ٩٠٨م الموجود في "امستردام" بهولاندا أن شخصا اسمه "سي جالوك" تلا "رامايانا" بمناسبة يوم التأسيس من خلال العزف و نوع من التمثيلية

كما ذكر من قبل أن اللغة السنسكريتية و آدابها كانت تدرس في إندونيسيا على نطاق واسع منذ زمن موغل في القدم، و نتيجة لذلك نشأت اللغة الكاوية من مزيج اللغة السنسكريتية و لغة "جاوا" القديمة، و عرف الأدب الذي تطور في هذه اللغة من فكرة "رامايانا" و "مهابهارتا" و للقصائد الهندية الأخرى باسم "كاكاوين"، و يبلغ عدد "الكاكاوينات" التي كتبت حول موضوع و فكرة "رامايانا" أكثر من مئة، و أجدرها ذكرا "هاري سارايا كاكاوين" المبنية على "رامايانا"

و "سوماناسانتاكا" و "راما بورانا" و "راما ويجاي" و "فيراتانترا" وغيرها، و تم اكتشاف النسختين من "راماينا" باللغة السنسكريتية بعنوان "كاريترا - راماينا" في جزيرة بالي، قام الشاعر "جاماكي" بتأليف الأولى منها شعرا بينما تقع الثانية في النثر و على الأرجح ألفت لغرض تعلم قواعد اللغة السنسكريتية و إضافة إلى ذلك توجد عدة نسخ لـ "راماينا" في اللغة المحلية الدارجة في جزيرة بالي، و نشرت ثلاثة منها باللغة المحلية مؤخرا

يعتبر "راماينا" باللغة الجاوية القديمة أكثر التآليف شعبية و أكبرها حجما، تم تأليفه في الجزء الأخير من القرن الحادي عشر و نشر مؤخرا بالحروف الرومانية مع الترجمة الإنجليزية من نيو دلهي.

تشكل تلاوة "راماينا" في جزيرة "بالي" جزءا لكافة التقاليد المحلية و عبادة جميع الآلهة، و يعرض الرقص التمثيلي المبني على فكرة "راماينا" بمناسبة تشييع جثمان الباليين الهندوسيين

يعزى تأليف الكتاب "راماينا - كاكاوين" إلى شاعر اسمه "يوغيشوارا" و لكن بعض العلماء يرى أنه لم يؤلف "كاكاوين" بأكمله بل ألف جزءا منه يشتمل هذا الكتاب على ٢٦ نشيدا و ٢٧٧١ بيتا و جودة التأليف ليست بمستوى واحد في كل الكتاب لذلك يفترض أن "يوغيشوارا" ليس اسم شاعر معين بل إنه لقب لجميع الكتاب و الشعراء الذين أسهموا في تأليف "راماينا"

لا يعتمد الكتاب "راماينا - كاكاوين" بشكل مباشر على "راماينا لفالميكي" و أن المصدر الرئيسي لـ "كاكاوين" هو "بهاتيكافيا" ، غير أن ذكر فالميكي ورد في "كاكاوين" كمؤلف لـ "راماينا" الأصلي فإن الأناشيد من الأول إلى الخامس تتوافق تماما مع "بهاتيكافيا" و لكن مضمون النشيد السادس

يختلف مع بهاتيكاويا و بينما الأناشيد من السابع إلى التاسع تتوافق تماما ببهاتيكاويا ولكن يوجد بعض الاختلاف في الأناشيد من العاشر إلى السادس عشر ولكن القصة المروية في الأناشيد من السابع عشر إلى السادس و العشرين تختلف تماما

يحتوي الكتاب راماينا ـ كاكاوين على أنواع كثيرة من البحور و التشبيهات و الاستعارات السنسكريتية، يبدو أن "كاكاوين" ألف لغرض تعليم بحور الشعر السنسكريتية، بينما ألف الكتاب بهاتيكاويا من أجل تعليم قواعد اللغة السنسكريتية

و ينتهي الكتاب "راماينا ـ كاكاوين بالانتصار على لانكا، و تتويج راما" بعد عودته إلى أجودهيا و لا يشمل محتويات الكتاب "أتراخاندا و لكنه يجب أن لا يغيب عن البال، أن الحوادث التي ذكرها فالميكي في كتابه اتراخاندا كانت معروفة في إندونيسيا و يعرف هذا الجزء من أسطورة راما كعمل نثري مستقل و ذكرت في نهاية هذا الكتاب الفوائد و الميزات التي تتحقق من قراءة راماينا في السطور الآتية

"من يقرأ راماينا" هذا يجد الطريق الصحيح و يذهب إلى الجنة كما ينال السعادة من الأولاد و الأحفاد و يعيش على صداقة تامة مع الآلهة و فضلا عن ذلك من يقترف الذنوب و يقدر له أن ينال عقابها و يقرأ حتى بيت واحد منه يغفر له ذنوبه كلها

إن شخصيات الكتاب راماينا الإندونيسي هي نفس الشخصيات التي توجد في راماينا الهندي مع فرق بسيط و هو أن كومباكرن تم تمجيده كجندي مخلص و تحظى تريجاتا" بإحترام يضاهي إحترام سيتا" نفسها

تقريبا، بل على الاغلب تنال "تريجاتا" احتراما كبيرا في جاوا لأن لولاها لماتت سيتا في أسرها

لقد تناولنا لحد الآن أثر راماينا في فن النحت و الأدب الإندونيسيين و فضلا عن ذلك أن أثره في الثقافة الحية مثل الموسيقى و الرقص و المسرحية واضح جدا، و تعرض التمثيليات المبنية على فكرة راماينا منذ قديم الزمان عن طريق الدمى المتحركة المصنوعة من الجلد كما أن هناك عددا كبيرا من المسرحيات و التمثيليات المستوحاة من راماينا أشهرها بيانغ كولين و بيانغ غوليك و بيانغ تشوك تعرض مثل هذه المسرحيات كل عشية بعد العبادة في معبد "سيفا" بمدينة براميانان ، و مع أن جميع الممثلين و الموسيقار مسلمون لا يقل اهتمامهم و إخلاصهم في عرض هذه المسرحيات من إخلاص و اهتمام الممثلين الهنود، تشتهر في جزيرة بالي أنواع مختلفة من الرقص و الموسيقى و المسرحية المبنية على فكرة راماينا"، كلما سنحت أية مناسبة يجتمع آلاف الناس لمشاهدة رقصات و مسرحيات مستوحاة من راماينا

و في الختام نذكر أن راما و شخصيته العظيمة و قصته يعد جزءا لايتجزأ لثقافة و حضارة و تاريخ إندونيسيا

البيلوغرافيا:

١ بالبير جاغيلاس كغور L'histoire de Rama en Tibetain d'apres des manuscripts de Touen de Touen-houang edition du texte et traducion annotees. Paris Ardien maisonneuve, 1963

٢ سوف مان نيو نورا ميليمي The Poetics of Ramakum Illionois: Northern Illionois University 1984.

٣ إكريم اتفاديالتي حكايات سري راما، جاكرتا، جامعة بيتريت إندونيسيا ١٩٦٨

٤ بو سافيروس (ed.) Ramakerti (xvie-xviie siecles) texte Khmer public par Saveros Pou. Paris. Ecole Francaise d'Extreme-Orient, 1979

٥ بو سافيروس (ترجمة) Ramakerti (xvie-xviie siecles) Paris: Ecole Francaise d'Extreme-Orient, 1977 (French Translation).

٦ راما الأول (ملك تايلاند Bot Lakhon Ramakien. Bangkok Guru Sabha (Budha Yodfa Press 1964 II Vol

٧ راما الثاني (ملك تايلاند Bot Lakhon Ramakien. Bangkok. (Buddha Loetla Naphalai Krom Silpakon 1969 2 Vol

٨ راما السادس (فاجيرا بودا ملك تايلاند) راماكين بانكوك ١٩٣١

٩ راما السادس (فاجيرا بودا ملك تايلاند) Bokoet Haeng Ramakien Bangkok, 1913

١٠ سهاي ساتشيدا ناند (ed.) The Phra Lak Phra Lam, or The Phra Lam Sadok a Lao version of the story of Ram. نيو دلهي المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ١٩٧٣

١١ سهاي ساتشيدا ناند The Rama Jataka in Laos. a study in the phra Lak Phra Lam. Delhi B.R Pub. Corp. 1996 Vol

١٢ سهاي ساتشيدا ناند (ed. & tr.) Ramayana in Laos. a study in the Gvay Dvorabhi Delhi B.R. Pub Corp. 1976.

١٣ سانتوسو سوويتو (ed. & tr.) Ramayana Kakawin New Delhi, International Academy of Indian Culture, 1980, 3 Vol

١٤ شاستري ساتيا فرات Sriramakirti mahakavyam, a Sanskrit mahakavya of the Thai Ramakien. bangkok: Moolamall Sachedeva Foundation 1990

١٥ شاستري ساتيا فرات دراسات في الثقافة السنسكريتية و الهندية في تايلاند دلهي ١٩٨٢

١٦ ستوترهيم ويليلم، Rama-legend and Rama-reliefs in Indonesia، بحث ترجمته من قبل السيد سي دي بليول و ار بي جين، نيو دلهي: مركز إندرا غاندي الوطني للفنون ١٩٨٩.

١٧ فالميكي، رامايانا لفالميكي، الملحمة القومية للهند، تحقيق جي إتش بهات، بروما: Oriental Institute، ١٩٦٠-١٩٧٥، المجلد السابع.

١٨ فالميكي، رامايانا لفالميكي، with the commentaries Tilaka, Ramayanasuromani and Bhusana, edited by Shrinivas Katti Mudholakara. Bombay: Gujrati Ptg. Press 1912-1920. 7 Vol. Repr. With introduction in Sanskrit and verse index by Satkari Mukhopadhaya. Delhi: Parimal Publications 1983. 8 vol.

تعريب: د. حبيب الله خان

◆◆

تأثير الفلسفة و الفكر الهنديين في شعر اقبال

بقلم سيد مظفر حسين برني

حاكم لولاية هريانا سابقاً

كان الشاعر محمد اقبال من الشخصيات الفذة الفريدة للأدب الهندي، ولم يكن شاعراً فحلا فحسب، ولكنه من عظماء رجال الفكر كذلك. قام محمد اقبال - بوصفه أحدا من رجال الفكر - بدراسة الفلاسفة الغربيين بتعمق كما شفى غليله العلمي بالإستفادة من المسلمين من رجال الفكر و إلى جانب ذلك فقد تأثر تأثرا بالغا بالنساك و أهل الفكر من الهندوس. يقول في مقالته التي كتبها بعنوان نظرية عبد الكريم الجيلي في التوحيد المطلق

إننا نعترف بتفوق الهندوسية في الشعور الفلسفي العميق، أن تاريخ العرب لما بعد ظهور الإسلام، سلسلة طويلة من الإنتصارات العسكرية الباهرة مما حملهم على انتهاج نهج من العيش لم يكن فيه لتحقيق الإنتصارات الصامتة سببا في مجالات واسعة من الفلسفة و العلوم، إلا سهم ضئيل فلم يتمكنوا من و ما كان بإمكانهم انجاب شخصيات مثل كابيل (Kapil) (٢) و شنكرا تشاريه (٣)

عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (المولود في ٧٦٨ من الهجرة/ ٦٦ - ١٣٦٥م، و المتوفى بين ٨١١ و ٨٣٢ من الهجرة/ ٨ ١٤ - ١٤١٧م) كان من أهل بغداد من أصلاب الشيخ عبد القادر الجيلاني من كريمته فلذا يقال له الجيلي. كان قد حصل على النسبة الروحية في الطريقة القادرية عن الشيخ شرف الدين

اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي انه كذلك قام برحلة للهند كما قام رحلة مع شيخه في اليمن و توجد له عشرون مؤلفة (بروكلمان GAL ٢ ٥/٢) و ضاع منها عدد مثله

إن معتقدات الجيلي مبنيه على تعاليم الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي و لما ما يراه بينهما من تناقض فيرجح سببه ـ كما ذكر الجيلي إلى اختلاف في وجهه النظر او التاويل و الفكرة الاساسيه لهذه العقيدة هي عقيدة وحدة الوجود اى كل موجود مظهر لذاته الواجب الوجود التي لا تحصى ممكناتها و إن لا تنفصل ابدا عن هويتها الغير المنقسمه و منقطعه النظير إن الجيلي شبه العالم بالثلج و شبه الله من حيث حقيقة مستترة دائما الذي يتكون منه هذا الثلج و سيعود الثلج ماء مرة اخرى و من ثم فإن في نظر الصوفي الذي قلبه متفتح للتجلي النوري لواجب الوجود ينكشف هذا الامر فعلا

و في هذه الإستعارة لا توجد فكره الحلول لو الواحد هو الكل و لا يكون الله العالم مثلما يتحول الماء ثلجا إنه وراء الإدراك في مظهريته فلا توجد استعارة تحل هذا التناقض بشكل متناسق و للجيلي تاليف بعنوان الإنسان الكامل خلف على الصوفيه من المغرب العربي الى جزر جاوا شرقا تاثيرا عميقا و يمكن القول بانه صورة مرتبة منسقة لميتافيزيقيات ابن العربي و ميتافيزيقيات الصوفية كلها بوجه عام و قد بحث الجيلي في تاليفه هذا مظهرية هويته تعالى و درجات الوجدان الصوفي و تجليه في اشكال الديانات الشتى، و القوى الروحية و النفسية في الإنسان و قضيه المعاد

كان إقبال دارسا للفلسفة و كان قد درس الفلسفه الهندية دراسة مسهبة و خاصة لشدا عمله في إعداد لطروحته لشهادة الدكتوراة بعنوان تطور الميتافيزيقيات في إيران تسنى له الخوض في حقائق الفلسفه الهنديه

لان هذا الموضوع لا يمكن إستيعابه دون الإلمام بالويدانت و الأوبانشاد و هذا ما نصح من دراسة أطروحته بالإصمار يقول اقبال باحثا في مايا" (٤)

و مماثلته المثيرة للدهشة بالمفكر العظيم كابل (Kapıl) الذي عرض نظرية الصفات الثلاثة لخلق الكون و هي ستوا (اى الخير) و تماس (اى الظلام) و رجس (اى العاطفة او الشعور) و منها تتكون الطبيعة عند ما يختل اتزان المادة الجوهرية (اى براكراتي)

و يضيف فيقول (٥)

و من الحلول العديدة لمسئلة تعدد المظاهر و التي حلّها الويدانت بتقديم افتراض قوة مايا السرية و يوضحها ليبنيز (Leıbnız) حقيقة من الزمن بنظريه اكتشاف غير المشهود

و بالاضافة الى ذلك يقول إقبال و هو يتناول بالبحث نظرية الحيلى للماهية الالهية عن الفكر البحث و اسمائه و صفاته (٦)

و لنفكر الان في ماهية هذه الصفات

إن افكاره في هذه المسئلة الشيمة هامة جدا لان هذه هي النقطة التي تفترق بها هذه النظرية عن الفكر الهندوسي. انهم يقولون ان الصفة وسيلة تعرف بها حقيقة الاشياء و بموضع اخر قالوا إن تباين الصفات عن الحقيقة الميتافيزيقية إنما لا يجوز إلا في حدود المظاهر، لان كل صفة هنا تعتبر مغايرة للحقيقه التي تلك الصفة من لوازمها و هذا التباين سببه وجود الاتصال و الانفصال في دائرة المظهر إلا ان هذا التباين لا يجوز في دائرة غير المشهود.

و مما يستحق الإعتبار هنا هو اختلافه البين في هذه النقطة عن مؤيدي نظريه مايا ، إنه يعتقد بان وجود العالم المادي حقيقة و إن لم يكن هناك من

شك في أنه القشر الخارجي لواجب الوجود و لكن حتى هذا القشر ليس لا يستهان به في حقيقته إن علة مظاهر الكون - وفقا لإقبال - كما يقول الويدانتيون و بعض المتصوفين - ليس حلما من الأحلام و لكنه حلم يقظة

تو چشم بستی و گفتی که این جهان خواب است
کشای چشم که این خواب خواب بیداری است

(أطبقت عينيك و قلت إن هذا العالم حلم اصح فإن هذا الحلم حلم يقظة)

إن هذا يشير- على ما يبدو - إلى التفسير الصوفي للأثر المشهور عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه و كثيرا ما يذكر هذا الأمر و هو

الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا (٧)

و على نفس الشاكلة فإنه لا يتفق بتلك النظرية عن الكون التي تعتبره ظاهرة ليس دونها غرض أو لعب من ألعاب الخالق يقول إقبال مخاطبا الصوفي

تری نگاہ میں ہے معجزات کی دنیا
مری نگاہ میں ہے حادثات کی دنیا

(العالم في نظرك عالم المعجزات و هو في عيني عالم الحوادث)

و يقول موضحا التوحيد الخالص للوجود المطلق (٨)

"الألوهية تماثل التوحيد الخالص و لكن تتنافى أسماؤها و صفاتها و قد تتضارب بعض الأحيان فمثلا الرحيم و المنتقم كل منهما نقيض للآخر

و أوضحه في ملحوظة له هامة في هذا السياق (٩)

و فيما يبدو ممايل هذا مماثلة كبيرة بنظرة مظهر برهما الخالق الشخصي أو براهاباس للويدانتا يكون المرحلة الثالثة لواجب الوجود أو شخص برهما و يبدو ان الجيلي كذلك يعترف بشانين للبرهما - شان ذو الصفات و لخر بدون الصفات كما يعترف به شنكر (Shankar) و بدرايانا (Badrayana) (١٠) فلى عملية الخلق عندهما، بصمه اساسية تنزل للمكر البحت الذي سمي عند كونه مطلقا ـ است اي الوجود المطلق و ـ ست اي المادة عند كونه مشهودا و هو كونه محدودا كذلك و لكنه برغم هذا التوحيد المطلق راجح بارع الى نظرية تسمه بارا راماتوجا (Ramanuja) (١١) انه يقر بحقيقه الروح الفريدة و بمعنى ذلك و رغم شنكر انه يلزم وجود "ايسور (الله) و عبادته حتى بعد الوصول إلي درجة اليقين او العرفان الحقيقي

مفسرا نظرية الجيلي يصف إقبال ارتقا الانسان إلى الكمال بشكل تدريجي في ثلاثة أطوار، الطور الاول هو التأمل او المراقبة الذي يقول عنه بتعبير الجيلي (١٢)

و اذا تجلى الله لعبد باسمائه يمحى ذلك العبد بأنوار الجلالية لتجليات أسمائه

و يوضح إقبال قائلا بأن هذا التفاني لا يعني الفناء بموت الأجساد لأن الفرد لايزال حيا و يبقى متحركا مثل المغزل كما قال كابل (Kapil) بعد ان حصل على درجه الاتصال و الاتحاد براكارتي (القوة العظيمه الكامنة) و بعد الوصول إلى نفس الدرجه هتف موحد بأنني أصبحت انت و أصبحت انت انا (من تو شدم تو من شدى) حتى لا يفرق بيننا بعد اليوم أحد

قال إقبال في خطابه عن الصوفية إن بعض الطرق الصوفية (النقشبنديه على سبيل المثال) لتخذ من العبادات الهنديه وسائل اخرى للوصول الى مرتبه شهود الغيب (١٣) او استعارتها (١٤) بتعبير اخر يقول

انهم علموا المتبع نظرية كنداليني للهندوس القائله بان في الجسد الانساني ستة مراكز كبرى للاشراق تختلف قواها و على الصوفي تحريكها بانواع مختلفة من التاملات لكي يتسنى له البلوغ - اخر الامر - مكانه شهود الغيب - (١٥)

و على هذا الشاكلة فان نظريه التفاني لاهل التصوف استمادت - وفقا لاقبال - من فلسفة نيروانا (النجاة) للبوذيين و يروق بهذا المقام ذكر قول الاستاذة شميل (١٦) و هو ان هذه النظريه قد انصلت بعد تحليل و بعدا عميقين للمصادر لم يكونا بالإمكان في ذلك العصر و لا يمكن الاعتراف بتاثير البوذيين الا في القرون اللاحقة التي توطدت فيه الروابط بين البوذيين و الطوائف المسلمه من اسيا الوسطى و سؤال يمكن طرحه هنا حول تاثير العبادات هو ان مرشد الشيخ بايزيد البسطامي الشيخ ابو علي السندي (١٧)- و هو اول من عرض التفسير الميتافيزيقي للتفاني - لا بد ان كان قد اثر في افكاره؟

و الشيخ بايزيد البسطامي كان ولهه ان يتخلص تخلصا كاملا - عن طريق المجاهدات المنتظمة - من جميع العقبات التي تبعده من الله لكي يمكن له الوصول إليه ان الدنيا عنده و الزهد فيها و العبادات و الخوارق و الذكر و حتى مقامات السلوك كلها، إن هي الا الحجبة تحول بينه و بين الله و اخر الامر عندما يخلع اساسيته هذه انسلاخ الحيه من قشارها و يصل الى المكانه المنشودة يظهر عرفانه المتعبر بنفسه في اقوال متناقضة اى الشطحيات

التي اعتبرت معاصرية مثل قول "سبحاني ما اعظم شاني" أو "طاعتك اياي احل من طاعتي اياك" و ما إلى ذلك.

و سبح خلال تأملاته في اجواء لا تدرك و بسببها اتهم بأنه يدعي القيام بتجربة الاسراء مثل الرسول عليه السلام و خلال هذا السير في الاجواء شرفه الله بوحدته الانانية و البسه حلة انانيته و لكنه احترز من البروز على اعين الناس و هو في هذه الحال او انه على اجنحة الخلود اجتاز جو اللاكيف و انحط على ارض الازليه و زار هناك شجرة الاحدية مما تبين له ان كل هذه المشاهدات لم تكن الا غرورا او انه هو نفسه كان كل شيء (دائرة المعارف الاسلاميه ج١/٩٣٣)

و نظريه اخرى من النظريات العامة للتصوف هي التي تقول (١٨) ان

مركزهم الاصلي و هو عرفان الملك الذي هو مركب عجيب من النفس و الروح و هذا هو الوسيله لمعرفة العلّة الغائيه للكون

يقول اقبال بأسلوب ينبئ على التفكير

كل ما ينكشف عنه الملك او مصدره الذي سمي في مصطلحات الويدانت بالعلم الفائق انما لا يبدو للفرد شيئا يختلف عن شخصه هو و كل ما يظهر له عن طريق هذه الوسيله يكون حقيقة نفسه هو

و ناحيه اخرى من علم (١٩) التصوف هي نظريته للنجاة يقول المبادئه السامية ان النجاة رهن بتحول ارادتكم و اختياركم بينما تقول تعاليم الويدانت الهندي ان السبب في جميع الالام هو اننا نخطئ في موقعنا من الكون و من ثم فانه يوصينا بتغيير فكرنا و معناه طبعا ان الطبيعة البشرية الحقيقية عبارة عن الفكر و ليست عن الارادة و العمل

و في نفس السياق فإن نظرية كون الحقيقه النهائية الجمال الأبدي ـ و التي يعترف بها ابن سيناء وغيره من الصوفية ـ يخصها إقبال بتأثير الهندوس و البوذيين بقول

إن هذه النظرية قد نشأت على أيدي أولئك الزوار الهندوس الذين كانوا يسافرون لزيارة تلك المعابد البوذية في إيران التي مازالت قائمة في باكو حتى تلك الحين (٢)

لقد تبين من المقتبسات السالفة الذكر إن إقبال كان قد درس الفلسفه الهندية دراسة عميقه و جادة مما خلف آثارا عميقه الجذور على تطور نظرياته الخاصة بعرفان النفس و العمل و الزهد تقول انا ماري شميل (Anna Marie Schimmel) في كتابها (Gabriel s Wing) (جناح جبرئيل)

إن علاقته بالفلسفة الهندية و الأدب الهندي الكلاسيكي كان مما لابد له منه من حيث كونه فيلسوفا و بالاوبنشاد على وجه الخصوص الذي كثيرا ما كان مراجعه كانت فلسفة مكس موبلر (Max Mueller) الخاصه بالويدانت محدودة إلى مكتبته الشخصية، و في إيام شبابه عندما كان اقبال راجعا الى نظرية وحدة الوجود، كان معجبا بالسمو الوفور للويدانت و تستطيع كل من يقراه، الادراك بأنه تلمح في شعره، بعض الاحيان مقولات الاوبنشادات و على سبيل المثال مثل الضفدع في بئر غامرة (٢١) إن مفهوم اتما (الروح) قد اثر في شكل نظريته عن عرفان النفس إلى حدما، و إن عارض الفلسفات الاتصالية بكافة أنواعها مما لا يمكن التغاضي عنه أبدا

و الى جانب ذلك، فإن نظريه التحرر و الانحلال التي عرضت في الاوبنشاد و الفكرة القائلة بأن الروح غير زائلة و التي هي من الاركان الأساسية للفكر الهندي ـ قد أثرتا في إقبال تأثيرا عظيما كما أن آرا اقبال عن الموت مباشرة

بالنظرية الهندية الخاصة بالآتما (الروح) إنه يؤمن بأن الروح الانسانية غير فانية. يقول في أبياته المعنونة بـ "ماں کی یاد میں" (في ذكرى الأم)

موت تجدید مذاق زندگی کا نام ہے
خواب کے پردے میں بیداری کا اک پیغام ہے

(إن الموت تجديد مذاق للحياة و رسالة للصحوة في غلاف النوم)

موت کو سمجھے ہیں غافل اختتام زندگی
ہے یہ شام زندگی صبح دوام زندگی

(حسب الغافلون إن الموت نهاية للحياة إن أفول الحياة هذا فجر للحياة الخالدة)

أو الأبيات التالية

ہو اگر خود نگر و خودگر و خودگیر خودی
یہ بھی ممکن ہے کہ تو موت سے بھی مر نہ سکے

(إذا كان عرفان النفس مراقبا على النفس و مهذبا لها و ناهيا - فقد لا تموت حتى بالموت)

بندہ آزاد را شانے دگر   مرگ او را می دہد جانے دگر

(إن الأحرار لهم شأنهم و حتى موتهم ينفخ فيهم روحا جديدة)

اسلوك الويدات

في أول عهده بالشعر كان إقبال قد نظم اشلوكا (أبياتا من الويدات) لم يضمها - مع الأسف - أي من دواوينه و لكن نجده في ترجمة حياته

"روزكار فقير":

خویشوں سے نہ اندیشہ نہ غیروں سے خطر ہو
احباب سے کھٹکا ہو نہ اعدا سے حذر ہو

(لنكن نامن الاصحاب و نامن الاغيار لا مخافه من الاحباب و لا حذر من الاعدا)

روشن مرے سینے میں محبت کا شرر ہو دل خوف سے آزاد ہو بیباک نظر ہو

(و لنكن شرارة الحب متقدة في صدري قلب خال من الخوف و نظر همّام حسور)

پہلو میں مرے دل ہو ہے آشام محبت ہر شیء ہو مرے واسطے پیغام محبت

(و ليكن القلب في ضلوعي مولعا بالحب و ليكن كل شي بالنسبة لي رسالة لحب)

و هي ماخوذة من الاسلوك التالي لاتهورا ويدا

"لتكن ليس فينا خوف من الأصدقا و لا الأعدا

لا مخاف من الاقرباء و لا نهاب غيرهم

و لنكن لمبين في الليل و في النهار

يا ليت جميع الجهات كاسب لي صديقه

تأثير الأوبنشادات

كتبت الاستاذة اناماري شميل (٢٢)

و من ثم فكان من الطبيعي لفيلسوف شاب كان هو نفسه في تلك الفترة رلحجا إلى التوحيد الوجودي أن يكتب عام ١٩٠٧م في أطروحته للدكتوراة: و أصبح هذا التيار (أي الصوفية) بحرا لا ساحل له إلى أن انتهى إلى الموحد

الحلاج، الذي هتف بلسان الأوبانشادات بهتاف "أنا الحق" ما معناه "أهم برهم اسمي" (إنني أنا البرهما أو الباري)

و نفس الشيء سجل في البيت التالي من "كلشن راز جديد" و وضع فيه المنصور و الممثل المتبحر لفلسفة وحدة الوجود في الهند سنكراساريه في صف واحد (٢٣)

وگر تو فكر و منصور كم گوئی — خدا را ہم راہ خویش جوئی

(قلل الكلام عن المنصور و سنكراسارية و حتى الخالق ابحث عنه عن طريق وسيلة عرفان النفس)

و مراجعه النظريه الثورية لعرفان النفس في شعر اقبال لقد أوضحت الأستاذة أنا ماري شميل فمالت الذي يتخذ بعض الأحيان، شكل عرفان النفس يحيط الكل الذي تتكون منه بين للعوالم و هويات منفرده تخلق لأنفسها أكوانا صغرى هذا ما بينه الشاعر اقبال في الأبيات التالية من ديوانيه "اسرارخودی" و "زبور عجم"

پیکر ہستی ز آثار خودی ست — ہر چه می بینی ز اسرار خودی ست

(إن مظهر الحياة هذا من آثار عرفان للنفس و كل ماتراه هو من أسرار عرفان النفس)

سازد از خود پیکر اغیار را — تا فزاید لذت پیکار را

(ان عرفان النفس من نفسه يخلق مظهر غيره حتى يزداد معركة الحياة لذة)

این جهان چیست؟ صنم خانهٔ پندار من است
جلوهٔ او گرو دیدهٔ بیدار من است

(الوجود و العدم (الفناء و البقاء) بنظري إليه و عدم نظري إليه أي زمان؟ و أي مكان؟ كله من نشاطات فكري)

و لتضاف الأستاذة أنا ماري شميل، من لمحة هذه الأبيات من ديوانيه بال جبريل و زبور عجم بأنها تبدو في فكرتها الأساسية عند إقبال متأثرة بالأوبانيشادات

خودی کیا ہے؟ رازِ درونِ حیات　　　خودی کیا ہے؟ بیدارئ کائنات

(ما عرفان النفس؟ السر المكنون للحياة　ما عرفان النفس؟ يقظة الكون)

جهان غیر از تجلی‌های ما نیست　　　که بی ما جلوهٔ نور و صدا نیست

(إن الوجود ليس له حقيقة لنا مجردة عن تجلياتنا إذ أن مظاهر الأنوار و الأصوات بدوننا ـ لا شيء)

إن التعبيرات التالية من أسرار خودي كذلك جديرة بالملاحظة

"شب ز خوابش روز از بیداریش"

(الليل من نوم عرفان النفس و النهار من يقظته)

"شعلهٔ خود در شرر تقسیم کرد"

(إن عرفان النفس هو الذي وزع شعلته في الشرارات) (٣٤)

و هذا يذكرنا بذلك التعريف التقليدي للآتما (الروح) الذي جاء في أوبانيشاد

كوشي ناكي و مثلما ينشق الشرارات من النيران الملتهبة و تتناثر في جميع الجهات فعلى نفس الشاكلة تخرج من عرفان النفس (اتما) أساس الحياة و فيها تولد الاحاسيس و من هذه الاحاسيس تخلق العوالم

فلنرجع كذلك استعارة الشجرة التي استعملها إقبال في ديوانه پيام مشرق (رسالة الشرق)

خود افروزم چراغ راه خويشم

(أنا أنير سراج طريقي من نفسي)

و يتبين من هذا إن مفاهيم عرفان النفس في معانيه البحتة و مجردة عن سياقها لا تبعد بكثير عن الرؤية الهندية للاتما و التي وردت في اوپانشاد بهرا دارانايكه (٢٥)

يايجنا و الكيه؛ إذا غربت الشمس و أفل القمر و خمدت النيران و فارقت الكلمات فأنى للمرء من نور؟ إن عرفان النفس هو نوره في الواقع قال لانه ـ في الحقيقة ـ اذا يتساعد تلك المرء فعرفان النفس يتحول نورا يتحرك و يرجع بعد كمالته

و أوضحت الأستاذة سمين كم كان إقبال متأثرا برجال الفكر الهنود و كيف تعامل الرموز المختلفة للفلسفة الهندية في كتاباته

الديانة البوذيـــة

إن الأستاذ إقبال يعتبر غوتم بوذا من الهداة و قد أبدت مثلك لاحترامه للشخصيات الجليلة من جميع الديانات. تقوم رهبانية غوتم بوذا ـ في رأيه ـ على الأسس الانسانيـة و يعود منها درس مواساة البشر ففي جاويد نامه يلتقي رنده رود (اقبال) بغوتم بوذا بوادي طواسين، و نجد ذكر حدث يعظ فيه غوتم بوذا جارية حسناء من البلاط الملكي اسمها امبابالي.

مے دیرینہ و معشوق جواں چیزے نیست
پیش صاحب نظراں حور جناں چیزے نیست

(الخمر العتيق و الحبيب الشاب لا شيء و حتى حور الجنان ـ عند أولي الأبصار لا شيء)

ہرچہ از محکم و پایندہ شناسی گذرد
کوہ و صحرا و بر و بحر کراں چیزے نیست

(سينقضي كل ما تراه قائما دائما الجبل و الصحارى و اليبس و البحر و الساحل كلها لا شيء)

دانش مغربیاں، فلسفہ مشرقیاں
ہمہ بت خانہ و در طوف بتاں چیزے نیست

(حكمة أهل الغرب و تفلسف أهل الشرق كله بيوت الأصنام و الطواف حول الأصنام لا شيء)

از خود اندیش و ازیں بادیہ ترساں مگذر
کہ تو ہستی و وجود دو جہاں چیزے نیست

(فكر في نفسك و لا تمر بهذه البادية خائفا مرتاعا لأنك أنت الموجود و وجود العالمين لا شيء)

در طریقے کہ بنوک مژہ کاویدم من
منزل و قافلہ و ریگ رواں چیزے نیست

(في الطريق الذي شققته بهدابي المنزل و الموكب و السراب كلها فيه لا شيء)

و في هذه الحرب من نفس اللبيب يفهم غوتم بوذا الحياة و الممات و الجزاء و العقاب و حسن السيرة و طهارة الفكر بأسلوب شيق جميل.

بگذر از عیب که این وهم و گمان چیزے نیست
در جهان بودن و رستن ز جهان چیزے است

(دع التعيب فإن هذه الأوهام و الظنون لا شيء إنما العيش في الدنيا و بدون التلبس بها فإنه من عزم الأمور)

آن بهشتی که خدائے بتو بخشد همه هیچ
تا جزائے عمل تست جنان چیزے است

(الجنة التي يعطيكها ربك لجنة سيئة إنما إذا كانت جزاء بما عملت فإنها شيء يذكر)

راحت جان طلبی؟ راحت جان چیزے نیست
در غم هم نفسان اشک روان چیزے است

(المريد هدوء البال فإن هدوء البال لا شيء إراقة الدموع همًّا بالرفقاء و الخلان من بني جلدتك هو كل شيء)

چشم مخمور و نگاه غلط انداز و سرود
همه خوب است ولے خوشتر ازان چیزے است

(العيون الحالمة الساحرة و النظرات الشزرا القاتلة و الرقص و الموسيقى كلها جميل و لكن يوجد شيء هو أجمل منها)

حسن رخسار دمے ہست و دمے دیگر نیست
حسن کردار و خیالات خوشاں چیزے ہست

(إن جمال الخدود (الجمال الخارجي) يدوم ساعة ثم يصبح بعد لحظه في حكم كلى و
إن جمال السيرة و الافكار السامية إنما هو شيء عظيم)

و يذكرنا هذا البيت بالأبيات البسيطة الرائعة لـ اميانالى و ما معناها
التقريبى باللغة العربية كالتالي

اسود و مشرق كالنحل كان شعرى المتلو، و لكنه الان شيخوختي اصبح
ناصعا مثل خيوط الملوخية، و لا يكون حديث الصادق كذبا۱

- كان صوتي حلوا شجيا مثل صوت الطير كوئل الطائر في العادب المنا
و لكن في شيخوختي - اصبح صوتي ترتعد سراته و لا يكون حديث الصادق كذبا

- كان جسدي في ايام زمان جميلا كالشمس المشرقة و لا يكون حديث
الصادق كذبا۱

و تتوب الغانيه الحسناء منيبة بعد ما تستمع إلى كلام غوتم بوذا و تصبح
من اتباعه و تعاف الدنيا و تقول

فرصت کشمکش مدہ ایں دل بے قرار را
یک دو شکن زیادہ کن گیسوئے تابدار را

(لا تتح لهذا القلب المعذب فرصة للتردد و الارتياب و زد يا حبيبى خصلات شعرك ليه لو
لييين اى زد نفسك جمالا يسبهويني)

تر تو دروں سینہ ام، برق تجلی کہ من
با مہ و مہر دادہ ام تلخی انتظار را

(و يل في باطن صدري رعد مجلي لنقب به حس للشمس و القمر مرارة الانتظار)

ذوق حضور در جہاں رسم صنم گری نہاد
عشق فریب می دہد جان امیدوار را

(إن الـلـهـف إلى الشهود ارسى في هدا العالم تقليد نحت الأوثان إن الهيام يمني النفس الراجيه في غرور دائم)

تا بفراغ خاطرے نغمہ تازہ زنم
باز بہ مرغزار دہ طایر مرغزار را

(و لكي اعرف ملحن جديد هادي البال؟ اعد الى طاير البستان بستانه)

طبع بلند دادہ، بند ز پاے من کشای
تا بہ پلاس تو دہم خلعت شہریار را

(لـقـد وهـبـتـنـي طـبيعة همامه عالية فحل من قدمي الأغلال التي ترسفل فيها لكي اتخلى عن الحلّة الملكيه الفاخرة لأجل حبك)

تیشہ اگر بہ سنگ زد، ایں چہ مقام گفتگو ست؟
عشق بدوش می کشد ایں ہمہ کوہسار را

(اذا شق فرهاد العاشق الوهاد الجبال بمعوله فما يدعوك فيه للعجب؟ إنما الحب هو الذي يحمل جميع هذه الجبال الرواسي على كاهله[1])

غايانـــــــري.

يـقـول مـؤلـف قـصـة حـياة إقبال عبد المـجيد سالك إن إقبال كان قد درس اللغة السنسكريتية و عطيه فيضي كذلك، يصدق بقوله و قصيدة من عهده الاول ملخوذة من غايانري الذي هو كلمات قديمة للهندوس

أيها النور الأزلي؛ يا أيتها الشمس النيرة؛

تعال! لنعبدك

تعال ! و اعطنا من نورك نور الحكمة

و تـجدر الاشارة هنا إلى انه عندما طبعت هذه الابيات في مجلة مخزن لأول مـرة فــــي عـام ١٩٠٢م صـحـبـتـها ملحوظة تمهيد مــــن إقبال و فيما يلي نصها (٣٧)

إنـه من الـواقـع ان تـرجـمـة دقـائق الـكـلـمـات السنسكريتية إلى لغتنا الـحـاضـرة لـيـس بأمر ميسور و يجب هنا الايضاح بانه ليس لكلمة سويتور مـقـابل يناسبها في اللغة الأردية. و بشكل عام تترجم هذه الكلمة بـ افتاب اى الـشـمـس و لكن المراد بها هنا، هو تلك الشمس التي تشرق ورا السمولت و التي هي مـصـدر اسـتـضـاءة لـشـمـسـنـا هذه كذلك و الأمم السابقة القديمة و أهل الـتـصـوف الـمـسـلـمـين، كـذلك وصفوا وجود الله بالنور و قد ورد في التنزيل الـعـزيـز "الـلـه نـور الـسـمـولت و الأرض" إن غايانرى الذي هو نموذج منقطع النظير من الكلمات و الأصوات، غني جدا بالإيقاع و الحلاوة، و ترجمتها من باب شـبـه الـمـسـتـحيلات، و نظرا لهذه المشقات و الصعوبات فإن ترجمتها تستند إلى تـفـسـيـرهـا الـمـكـتوب في اوبانيشاد سوريه نارائنا" إن أبياتي جميلة غيرانها

لا يجوز عليها اطلاق عابتري

اے آفتاب! روح رواں جہاں ہے تو
شیرازہ بند دفتر کون و مکاں ہے تو

(يا شمس! انت الروح السارية في العالم انت الجامعة لما يتشتت من لمور هذا الكون)

باعث ہے تو وجود و عدم کی نمود کا
ہے سر تیرے دم سے چمن ہست و بود کا

(انت السبب لمظهر هذا الوجود و العدم و بك يقوم هذا البستان من البقا و الفنا ناضرا)

قائم یہ عنصروں کا تماشا تجھی سے ہے
ہر شی میں زندگی کا تقاضہ تجھی سے ہے

(و بك انت يدوم هذا اللعب للعناصر الاربعة و حياة كل شيء بحياتك انت)

ہر شی کو تیری جلوہ گری سے ثبات ہے
تیرا یہ سوز و ساز سراپا حیات ہے

(و دوام كل شيء بدوامك انت و هذا الطرب و الشجن فيك هو الحياة كله)

وہ آفتاب جس سے زمانے میں نور ہے
دل ہے، خرد ہے، روح رواں ہے شعور ہے

(الشمس التي يتنور بها الوجود كله إنها هي القلب و الفكر و المعرفة و الروح السارية و الشعور)

اے آفتاب ہم کو ضیائے شعور دے
چشم خرد کو اپنی تجلی سے نور دے

(يا شمس! جودي لنا بنور الوعي، و نوري أبصار الفكر بتجليائك)

ہے محفل وجود کا ساماں طراز تو
یزدان ساکنان نشیب و فراز تو

(أنت التي تديرين الأمور في هذا المحفل للموجودات و أنت رب سكان كل واد و جبل)

تیرا کمال ہستی ہر جاندار میں
تیری نمود سلسلۂ کوہسار میں

(كمالك بادي في وجود كل شيء و مظهرك بين في جميع سلاسل الجبال)

ہر چیز کی حیات کا پروردگار تو
زائیدگان نور کا ہے تاجدار تو

(أنت رب حياة كل شيء و أنت ملكة التاج لجميع خلائق الأنوار)

نے ابتدا کوئی، نہ کوئی انتہا تری
آزاد قید اول و آخر، ضیاء تری

(لا بداية لك و لا نهاية، و نورك بريء من القيود الأزلية و الأبدية)

فلسفة عمل لبهاغوات غيتا:

كان إقبال متأثراً تأثرا كبيرا بفلسفة العمل التي يقدمها بهاغوات غيتا. إن عرفان النفس (آتما) ليس له فنا و العمل للعمل و نصرف النظر عن الثواب و العقاب من أسمى أهداف الحياة، و من تعاليمه الاساسيه لنا على المرء أن

يعمل دون الحفل بما يعود به هذا العمل من ثواب أو عقاب و إن التفاني التام في العمل (أي ترك الشهوات) يبعث الروح و يصلها بالروح الأبدية أي الوجود المطلق في كلمات التقديم لقصيدته "أسرار خودي" سلّط إقبال الضوء على العامل الحقيقي لتعاليم غيتا حيث يقول:

إن سري كرشنا جي، سيذكر دائما بكل إجلال و اعجاب، لأن هذا الرجل العظيم انتقد التراث الفلسفي لبلاده و أمته بأسلوب رشيق، و أثبت أن ترك العمل ليس معناه أن لا نعمل عملا على الاطلاق، لأن العمل (كرما) شيء تقتضيه الطبيعة و إنه يسمح في الحياة روحاً جديدة، بل أن ترك العمل معناه - في الواقع - أن نعزل أنفسنا عن نتائج الأعمال (٢٨)

و يبدو أن تأثير بهاغوات غيتا من مكونات جوهر فلسفة العمل التي قدمها إقبال و إن كان مصدرها الأصيل هو التعاليم الإسلامية. و فيما يلي بعض من أبياته المعروفة في رسالته للعمل

عمل سے زندگی بنتی ہے جنت بھی جہنم بھی
یہ خاکی اپنی فطرت میں نہ نوری ہے نہ ناری ہے

(من العمل بما الحياة و الجنة و جهنم كذلك و إلا فإن سليل الأرض هذا بطبعه لا نوريا و لا ناريا)

اپنی دنیا آپ پیدا کر اگر زندوں میں ہے
سرِ آدم ہے، ضمیرِ کن فکاں ہے زندگی

(إخلق دنياك من نفسك إذا كنت من الأحياء، فإن الحياة سر آدم و سبب وجود الكون)

یقیں محکم، عمل پیہم، محبت فاتح عالم
جہاد زندگانی میں ہیں یہ مردوں کی شمشیریں

(اليقين الصادق و العمل الدؤوب المتواصل و الحب فاتح العالم هذه هي سلاح الابطال في معركة هذه الحياة)

جس کا عمل ہے بے غرض اس کی جزا کچھ اور ہے
حور و خیام سے گذر، بادہ و جام سے گذر

(من كان عمله خالصاً، دون رغبة في شيء فإن له جزاء آخر فجاوز أيها المخاطب[1] الحور العين و الخيام و ودع الخمر و الكأس)

قناعت نہ کر عالم رنگ و بو پر
چمن اور بھی آشیاں اور بھی ہیں

(لا تقتنع بعالم الألوان و الشذى لأن هناك بساتين أخرى و مأوى غيرها كذلك)

تو شاہیں ہے، پرواز ہے کام تیرا
ترے سامنے آسماں اور بھی ہیں

(أنت شاهين، و مهمتك هي الطيران، و أمامك سموات و أجواء أخرى كذلك)

ہر اک مقام سے آگے گزر گیا مہ نو
کمال کس کو میسر ہوا ہے بے تگ و دو؟

(جاز الهلال كل أطواره ! و من الذي يحصل له الكمال دون سعي و جهد)

راز ہے راز ہے تقدیر جہاں تگ و تاز
جوش کردار سے کھل جاتے ہیں تقدیر کے راز

(مصير عالم الجهد و السعي من الأسرار المكنونة و لكن بقوة العمل و الأخلاق تتكشف أسرار القدر)

طرت کو خرد کے رو برو کر
تسخیر مقام رنگ و بو کر

(إعرض الطبيعة على محك الحكمة و سخر عالم الألوان و الشذى)

یہ گھڑی محشر کی ہے تو عرصۂ محشر میں ہے
پیش کر غافل، عمل کوئی اگر دفتر میں ہے

(هاهي ذي الساعة قد قلمت و أنت في فترة النشور فقدم يا غافل إن كان عندك من عمل عملته)

وشوا هترا

و نجد نكر الفلسفة و الفكر الهنديين في تلك الأبيات من منظومة جاويد نامه التي يجري فيها حوار بين وشواامترا (صديق العالم)، و الشيخ الرومي و قد جا في هذا الحوار وصف للمفاهيم الإلهية و الفلسفية للإسلام و الهندوسية يوجه صديق العالم (وشواامترا) إلى زنده رود (إقبال)، من أجل الاطلاع على مبلغه العلمي الأسئلة التالية:

گفت مرگ عقل؟ گفتم ترک فکر
گفت مرگ قلب؟ گفتم ترک ذکر

(سألني عن موت العقل فقلت إنه ترك الفكر، و قال ما هو موت القلب؟ فأجبت إنه ترك الذكر[1])

گفت تن؟ گفتم که زاد از گرد راه
گفت جان؟ گفتم که رمز لا اله

(سأل عن الجسد فقلت له حفنة من غبار الطريق قال و الروح؟ فأجبت إنه سر لا إله)

گفت آدم؟ گفتم از اسرار اوست
گفت عالم؟ گفتم او خود روبروست

(قال ما هو البشر؟ قلت إنه من أسراره تعالى قال و الدنيا؟ فأجبت إنها أمامك و نراها عيانا)

گفت این علم و هنر؟ گفتم که پوست
گفت حجت چیست؟ گفتم روی دوست

(قال و هذه الحرف و العلوم؟ قلت له مجرد القشور ثم سألني ما هي الحجة؟ فأجبت رؤية الحبيب)

گفت دین عامیان؟ گفتم شنید
گفت دین عارفان؟ گفتم که دید

(سأل عن دين الجماهير فقلت الاستماع ، ثم قال و ما هو دين العارفين؟ فأجبت الشهود)

از کلام نادرت جانش سرود
نکته هائے دلنشین بر من گشود

(زاده كلامي فرحا و حبوراً، فكشف لي عن حكمه الرائعة)

و أفهم العارف الهندي وسوامترا إقبال تسع نكات فلسفية أخرى و هي كالتالي

ذات حق را نیست این عالم حجاب
غوطه را حائل نه گردد نقش آب

(ليس هذا العالم بحجاب يحجب الله تعالى، فإن عباب البحر لا يحول بين الغواص و غوصه)

زادن اندر عالمے دیگر خوش است
تا شباب دیگرے آید بدست

(الميلاد في العالم الآخر شيء حسن جميل، ليحصل لك شباب جديد)

حق وراء مرگ عین زندگی است
بنده چون میرد نمی داند که چیست

(إن حقيقة ما بعد الموت هي عين الحياة، و إن العبد لذا يموت، لا يعلم من أخبار هذا العالم شيئا)

گرچه ما مرغان بی بال و پریم
از خدا در علم مرگ افزون تریم

(و نحن - و إن كنا طيورا لا جناح لها و لا ريش و لكنا أدرى بالموت من الله)

وقت؟ شیرینی به زهر آمیخته
رحمت عامے قهر آمیخته

(لا تسأل عن الزمن؛ فإنه حلوى ممزوجة بالسم و رحمة عامة مشوبه بغضبه)

خالی از قهرش نه بینی شهر و دشت
رحمت او این که گوئی درگذشت

(لا تظن مكانا يخلو من غضبه لا البوادي و لا الحاضرة، لا العمرانات و لا الخرابات،
مر بسلام فإنما هو من رحمته)

کافری مرگ است ای روشن نهاد
کی سزد با مرده غازی را جهاد

(الكفر موت يا صاحب القريحة الوقادة! و متى يليق بالمجاهد الغازي القتال مع الموتى)

مرد مومن زنده و با خود بجنگ
بر خود افتد همچو بر آهو پلنگ

(إن الرجل المؤمن حي و مشتبك مع نفسه، و إنه ينقض على نفسه انقضاض الاسد الفتاك على الغزال)

کافر بیدار دل پیش صنم
به ز دیندارے که خفت اندر حرم

(و من يسجد أمام صنم بحضور القلب خير من عابد يعبد الله في الحرم و هو عنه غافل)

چشم کور است این که بیند ناصواب
هیچ گه شب را نه بیند آفتاب

(عميا هي العين التي ترى من وجه غير حق، فإن الشمس لا ترى الليل ابدا)

صحبت گل دانہ را سازد درخت
آدمی را صحبت گل تیره بخت

(إن صحبة التراب جعلت من النواة شجرا ذا ظل ظليل و لكن الانسان لا تجديه صحبة التراب نفعا)

دانہ از گل می پذیرد پیچ تاب
تا کند صید شعاع آفتاب

(النواة تقتبس من التراب الغيرة و الاعتزاز بالذات حتى تصبح تتعرض لأشعة الشمس)

من به گل گفتم بگو ای سینه چاک
چون بگیری رنگ و بو از باد و خاک

(قلت للزهر قل لي يا مخروق الجيب، يا مجنون، كيف تأخذ هذه الألوان و الشذى من الرياح و الأتربة؟)

گفت گل ای هوشمند رفته هوش!
چون پیامی گیری از برق خموش

(فأجاب الزهر قائلاً يا حكيم أبله! إنني أستقيهما من الكون مثلما تتلقى الرسائل عن طريق كهرباء عجماء)

جان به تن ما را ز جذب این و آن
جذب تو پیدا و جذب ما نهان

(إن الحياة في أجسادنا بالاجتذاب هذا و ذلك، لما اجتذابكم فهو بادي منظور و أما اجتذابنا فهو مخفي مستور')

بهارتري هاري

إن إقبال من المعجبين إعجابا شديدا بالشاعر السانسكريتي المعروف بهارتري هاري. يروى أن بهار تري هاري كان ملكا لمنطقة "اجين" منغمساً في اللهو و اللعب و زخارف الدنيا و لكنه عاف سياه آخر الأمر و تفرغ للرياضة و الفكر و الفلسفة و الشعر. يقول مكس موليير (Max Mueller)

"إن عهده يرجع إلى القرن السابع للميلاد غير أنه أمر مختلف فيه و بجانب كونه شاعرا و فيلسوفا، كان بهار تري هاري من علماء القواعد النحوية

السانسكريتية و كان من أتباع عقيدة وحدة الوجود. و على نقيض غيره من أتباع الويدانت، ما كان يعتقد باكتشاف الحق بوسيلة الحجة العقلية و كان من رأي أن البحث عن الحق عن طريق الدليل، مثله مثل الذي يفتقد ضالته في الظلام الحالك إن الحق ـ عنده ـ لا يمكن إدراكه الاّ بالحب و هذا ما يتطابق مع فكر إقبال كذلك."

و يرى مكس موليز أن ناحية هامة من نواحي شعر بهارتاري هاري، هي أنه كذلك يرى العمل منفصلا عما يترتب عليه من نتائج و هذا من التعاليم الاساسية لـ "بهاغوات غيتا" في جاويد نامه يقدم للشيخ الرومي في الجنة إقبال إلى بهارتاري هاري.

حوریاں را در قصور و در خیام
جلوۂ مثل دعوت سوز تمام

(للحور في قصور الجنان و خيامها، كان بكائن دعوة للاحتراق التام)

آں یکے از خیمہ سر بیروں کشید
واں دگر از غرفہ رخ نمود و دید

(فهذه أطلّت برأسها من خيمة، و تلك أقبلت بوجهها و أشرفت من شباك غرفة)

ہر دلے را در بہشت جاوداں
داوم از درد و غم آں خاکداں

(فأعطيت كل قلب يسكن في جنة الخلد شيئا من هموم هذا المظروف الترابي أي هذه الدنيا)

زیر لب خندید پیر پاک زاد
گفت اے جادوگر ہندی نژاد

(فابتسم الشيخ التقي (الشيخ الرومي) و قال مرحى أيها الساحر الهندي!)

آں نوا پرداز ہندی را نگر
شبنم از فیض نگاہ او گہر

(انظر إلى هذا الهاتف الهندي الذي بنظرة منه يتحول الندى لآلئ)

نکتہ آرائے کہ نامش برتری است
فطرت او چوں سحاب آزری است

(إن هذا الحكيم يقال له بهارتري هاري وطبيعته نحت التماثيل)

از چمن جز غنچۂ نورس نچید
نغمۂ تو سوئے ما او را کشید

(إنه لم يجن من الحديقة سوى البراعم و غناؤك هو الذي جلبه إلينا)

پادشاہے با نوائے ارجمند
ہم بہ فقر اندر مقام او بلند

(ملك ذو صوت نبيل ! و مكانته رفيعة حتى في الفقر)

نقش خوبے بندد از فکر شرف
یک جہاں معنی نہاں اندر دو حرف

(إنه ينظم شعره بفكر بديع، و يكمن في كلمتين منه عالم من المعاني)

کارگاہ زندگی را محرم است
او جم است و شعر او جام جم است

(إنه صاحب السر لمضمار هذه الحياة، إنه الملك جمشيد و شعره كأس جمشيد)

ما بہ تعظیم ہنر برخاستیم
بزم ہاے صحبت آراستیم

(قمنا اجلالاً لعلمه ثم لخذنا بلطرائف الأحاديث بيننا)

و هنا يسأل زنده رود (اقبال) بهارتاى هارى عن سر استلهام شعره

اے کہ گفتی نکتہ ہاے دل نواز
مشرق از گفتار تو داناے راز

(يا صاحب النكات الرائعة بفضل كلامك اصبح الشرق عارفا بالأسرار)

شعر را سوز از کجا آید بگوے
از خودی یا از خدا آید بگوے

(قل لي من أين يأتي في الشعر الشجى؟ قل لي من عرفان النفس يأتي أو من الله؟)

و يوضح له بهارتاري هاري مجيبا علي سواله

کس نداند در جهان شاعر کجا ست
پردهٔ او از بم و زیر نواست

(لا يدري أحد أين يوجد الشاعر في هذا العالم، إن صوته يكون له حجابا يختفي وراءه)

آن دلے گرمے کہ دارد در کنار
پیش یزدان هم نمی گیرد قرار

(القلب المحترق الدافيء الذي يحمله في جوانحه لا يهدأ و لا يقر له قرار حتى بين يدي الخالق)

جان ما را لذت اندر جستجو ست
شعر را سوز از مقام آرزوست

(إن أنفسنا تتلذذ بالتطلع إلى مزيد من المعرفة، و يأتي الشجن في الشعر من حالة التمني و الحنين)

اے کہ از تاک سخن مست مدام
گر ترا آید میسر این مقام

(يا أنت من دائما يكون سكرانا بخمر الشعر اذا تسنى لك بلوغ هذه المرتبة)

با دو بیت در جهان سنگ و خشت
می توان بردن دل از حور بهشت

(فببيتين من شعرك في هذا العالم من الحجر و الحصى تستطيع الفوز بوداد حور الجنان)

و يتبين من الأبيات المذكورة أعلاه كم كانت مكانة بهار تاى هارى رفيعة عند اقبال و كم كان محبا به و معترفا و يقول إقبال مسترعيا نظر بهار تاى هارى الى المواطنين الهنود المناضلين من أجل حريتهم لشد النضال

هندیان را دیده ام در پیچ و تاب
سر حق، وقت است گوئی بے حجاب

(إني قد رأيت الهنود متذمرين غضبانين و قد حان الوقت لتبين لهم أسرار الحق بدون مجاملة)

و يجيب عليه بهار تاري بما يلي

این خدایان تنک مایه ز سنگ اند و ز خشت
برتری هست که دور است ز دیر و ز کنشت

(هذه الآلهة الحقيرة إما من الحجر أو من اللبن إنه بهارتاي هاري الذي هو بعيد عن البيع و الكنيسة)

سجده بی ذوق عمل خشک و بجایی نرسد
زندگانی همه کردار چه زیبا و چه زشت

(السجود دون رغبة صادقة لا طعم فيه و لا جدوى و ما الخير؟ ما الشر؟ الحياة كلها العمل)

فاش گویم به تو حرفی که نداند همه کس
ای خوش آن بنده که بر لوح دل او را بنوشت

(اكشف لك عن شيء لا يدريه أحد و يا حبذا من يكتبه على لوحة قلبه)

این جهانی که تو بینی اثر یزدان نیست
چرخه از تست و هم آن رشته که بر دوک تو رشت

(إن هذا العالم الذي تراه ليس من آثار الباري هذا المغزل لك أنت و لك ما تغزل به)

پیش آیین مکافات عمل سجده گزار
زانکه خیزد ز عمل دوزخ و اعراف و بهشت

(اخضع لدستور مكافأة العمل لأن النار و الأعراف و الجنة كلها بالعمل)

و هذه الأبيات - في رأى الأستاذة شميل (Chumaiel ٩) - ترجمة أدبية للمنظوم رقم ٣٣٦٧ من طبعة بوتلنغ، و المنظوم كالتالي

- إننا نعبد الآلهة و لكنها كذلك خاضعة لأمر القادر المطلق (أي الرحمن)

- فما لنا لا نعبد هذا القادر المطلق ذاته

ـ و لكنه أيضا لا يعطي المرء إلا ما قرر له من نصيب القدر المقسوم

ـ و القدر بالأعمال

ـ اذن فما لنا و لهذه الآلهة المتنوعة بل ما لنا و لربها القادر المطلق

ـ العمل الذي حتى القادر المطلق لا يتدخل في جرائه، إنما لحى ذلك العمل)

لقد كان اقبال متاثرا ببهارى تارى هارى لدرجة انه لتخذ بيتا من أبياته شعارا لديوانه الثاني بالأردية و اسمه "بال جبريل"؛

پھول کی پتی سے کٹ سکتا ہے ہیرے کا جگر
مرد ناداں پر کلام نرم و نازک بے اثر

(ان وريقة الزهرة الرقيقة لتقطع قلب الماس المتحجر و لكن الجاهل لا يوثر عليه الكلام اللين البسيط بشيء)

و البيت ماخوذة من الاشلوك التالي لنيتي ستك (٢٩) بهار تارى

(إن الذي يريد هداية ضال إلى سواء السبيل بكلامه اللين البسيط فمحاولته هذه لمحاولة باطلة و مثله كمثل الذي يحاول ربط فيل هائج بخيوط رقيقة من سيقان زهرة اللوطوس ، او كالذي يحاول قطع الماس بطرف وريقات زهرة رقيقة او الذي يحاول تصيير مياه البحر المالحة عذبة من عسل

بيمه بنظم قصة راماينا

و يتجلى مما سبق ان اقبال كان له إلمام تام بالفلسفة و الأساطير

و المعتقدات الدينية الهندية و يقال إنه كان من المولعين بالشعر الهندي الأسطوري تنويها عظيما و كان قد أراد القيام - في وقت من الأوقات - بنظم قصة راماينا بالشعر الأردي لقد كتب في رسالة وجهها إلى مهاراجا هركسن برشاد أن الشاعر مسيحي، كان قد نقل هذه الأسطورة إلى اللغة الفارسيه في عصر الامبراطور جهانكير و طلب إقبال من مهاراجا استكشاف نسخه مسيحي في مكتبته و لكن - من سوء الحظ - لم يمكن العثور على هذا الكتاب فلم تتقدم هذه الخطة كذلك

احترامه للنساك و العظماء الهنود

إنه يلزم لإيجاد روح من الوحدة القوميه و ابقائها أن يتبادل أتباع مختلف الديانات الاحترام للقادة و الأساطين الدينية للديانات الاخرى و بهذا الخصوص انتهج اقبال نهجا جديدا فقد ألف المنظومات و القصائد عن النساك و القادة الدينيين الهنود ففي أبياته عن رام تشاندرا جي، يشيد اقبال بشجاعته و فتوته و عفته و حنانه العميق تجاه البشرية:

لبریز ہے شراب حقیقت سے جام ہند
سب فلسفی ہیں خطۂ مغرب کے رام ہند

(ان كأس الهند مفعم يكاد يفيض بخمر الحقيقه - و كل الفلاسفه من أهل الغرب مفتونون بالهند)

یہ ہندیوں کی فکر فلک رس کا ہے اثر
رفعت میں آسماں سے بھی اونچا ہے بام ہند

(و هذا من تأثير الفكر الرفيع السامي عند الهنود - و فاقت الهند حتى السما في رفعتها)

اس دیس میں ہزاروں ہوئے ہیں ملک سرشت
مشہور جن کے دم سے ہے عالم میں نام ہند

(و قد عاش في هذه البلاد آلاف من كانت طبائعهم مثل الملائكة ـ و بهم يدوم صيت الهند في الآفاق)

ہے رام کے وجود پہ ہندوستاں کو ناز
اہل نظر سمجھتے ہیں اس کو امام ہند

(إن الهند لتعتز بوجود رام ـ و يعتبره أهل الأبصار إماما للهند)

اعجاز اس چراغ ہدایت کا ہے یہی
روشن تر از سحر ہے زمانے میں شام ہند

(و من معجزات هذا السراج الهادي أن لصيل الهند في العالم أشد إشراقاً من الصبح)

تلوار کا دھنی تھا شجاعت میں فرد تھا
پاکیزگی میں جوش محبت میں فرد تھا

(كان له المدح المطلق في الحرب ـ و كان فردا في شجاعته و عفته و ولهانه)

و من الجدير بالملاحظة أن هذه الأبيات تنتمي إلى الطور الثالث من تاريخه الشعري مما يقال عنه عامة إنه العهد الإسلامي من شعره. و على هذا المرار قال أبياتاً جذابة عن غوروناناك أشار فيها إلى عقيدته بالتوحيد و في نفس الأبيات أعرب عن اعجابه و تقديره تجاه غوتم بوذا و عن أسفه بأن

لاخوانه المواطنين قد اهملوا تعاليم غوتم بوذا كما ابدى فيها عدم ارتياحه بأن ظروف المنبوذين في هذه البلاد لتستحق الترحم و تدر عواطف التعاطف البشري و التكافؤ تجاههم

قوم نے پیغامِ گوتم کی ذرا پروا نہ کی
قدر پہچانی نہ اپنے گوہرِ یک دانہ کی

(لم تبال الأمة ادنى مبالاة برسالة غوتم ـ و لم تقدر هذه الدرة اليتيمه حق قدرها)

آہ بدقسمت رہے آوازِ حق سے بے خبر
غافل اپنے پھل کی شیرینی سے ہوتا ہے شجر

(وا اسفاه! ظل الأشقيا في غفلة من ندا الحق ـ و متى تشعر الشجرة بحلاوة ثمرته؟)

آشکار اس نے کیا جو زندگی کا راز تھا
ہند کو لیکن خیالی فلسفہ پر ناز تھا

(إنه كشف عما يكمن في الحياة من سر ـ و لكن الهند إنما كانت تتبجح بفلسفتها الوهمية)

شمعِ حق سے جو منور ہو یہ وہ محفل نہ تھی
بارشِ رحمت ہوئی لیکن زمیں قابل نہ تھی

(لم يكن لهذا المحفل إن يتزين بشمع الحق ـ هطلت الأمطار و لكنها تركتها صلدا)

آہ شودر کے لیے ہندوستان غم خانہ ہے
درد انسانی سے اس بستی کا دل بیگانہ ہے

(وا أسفاه إن الهند بالنسبة للشوديين بيت للأحزان - و قلب هذا العمران يخلو من التعاطف للبشر)

برہمن سرشار ہے اب تک مئے پندار میں
شمع گوتم جل رہی ہے محفل اغیار میں

(إن البرهمن لا يزال بعد سكرانا بشراب الأنانية - و شمع غوتم يضيء حمل الأجانب)

بتکدہ پھر بعد مدت کے مگر روشن ہوا
نور ابراہیم سے آزر کا گھر روشن ہوا

(و لكن أسعد معبد الأوثان مرة ثانية بعد زمان طائل - و استنار بيت آزر بنور إبراهيم من جديد)

پھر اٹھی آخر صدا توحید کی پنجاب سے
ہند کو اک مرد کامل نے جگایا خواب سے

(و ارتفع نداء التوحيد من بنجاب مرة أخرى - و قام فتى فأيقظ الهند من سباتها)

و زعيم هندوكي بارز آخر تأثر به اقبال، هو "سوامي رام تيرته" الذي هو من معاصريه لقد ولد سوامي رام تيرته في ٢٤/اكتوبر ١٨٧٣م بقرية مرديا والى، من محافظة غوجرانواله (الآن في باكستان) و اجتاز امتحان الماجستير في الرياضيات في عام ١٨٩٥م و اشتغل لفترة غير طويلة ثم عاف دنياه و صار ناسكا

تأثير الفلسفة و الفكر الهندي في شعر اقبال

و هو شاب و في ١٩٠٦م، يوم عيد ديوالي، عندما كان يستحم في نهر جمنا وافاه الاجل و ثلاثة و ثلاثون ربيعا هي كل عمره و انطلاقا من انطباعاته بهذا الحادث، قال عنه اقبال منظومه الجميل التالي:

ہم بغل دریا سے ہے اے قطرۂ بے تاب تو
پہلے گوہر تھا بنا اب گوہرِ نایاب تو

(اندمجت في البحر يا ايها القطرة الخطارة المضطربة كنت درة فاصبحت الآن درة يتيمة)

آہ کھولا کس ادا سے تو نے رازِ رنگ و بو
میں ابھی تک ہوں اسیرِ امتیازِ رنگ و بو

(يا لهف نفسي! باي اسلوب جميل كشفت سر اللون و الشذى و ها انا مازلت بعد اسيرا لتمييز اللون و الشذى)

مٹ کے غوغا زندگی کا شورشِ محشر بنا
یہ شرارہ بجھ کے آتش خانۂ آزر بنا

(انتهى ضجيج الحياة فاصبح انتفاضة النشور و خمدت الشرارة و لكنها اصبحت لهيب نار)

نفیِ ہستی اک کرشمہ ہے دلِ آگاہ کا
لا کے دریا میں نہاں موتی ہے الا اللہ کا

(ان نفي الوجود من صنائع القلب العارف، و في بحر "لا" يكمن در الا الله)

چشم نابینا سے مخفی معنی انجام ہے
تھم گئی جس دم تڑپ سیماب سیم خام ہے

(إنه لشخص على العين العمياء حقيقة النهاية و إن الزئبق ما إن يهدأ التقلب و الاضطراب فيه حتى يصير لجينا خاما)

إطراؤه على الهند

أثنى إقبال على الهند في شعره كلما سنحت له الفرصة فمثلا ما يحلم بمستقبل باهر للمسلمين يقول

عطا مومن کو پھر درگاہ حق سے ہونے والا ہے
شکوہ ترکمانی ذہن ہندی نطق اعرابی

(فقد أوشك أن يعطى للمؤمن من عند الله، وقار الأتراك و فكر الهنود و بيان العرب)

و كذلك إنه لم ينس الحسان الهنديات حتى عندما كان في أوروبا

میں نے اے اقبال یورپ میں اسے ڈھونڈا عبث
بات جو ہندوستاں کے ماہ سیماؤں میں تھی

(وعبثا بحثت يا إقبال - في أوروبا عما كان لحسان الهند من شأن خاص)

يقول و هو يوصي ابنه جاويد

اٹھا نہ شیشہ گران فرنگ کے احساں
سفال ہند سے مینا و جام پیدا کر

(لا تمتن بالخمار الانجليز بل من طين الهند، صغ لنفسك الكؤوس و القوارير)

و يقول بمكان لخر (٢) اربع في العالم قلما وقع لحد في شرك سحرهم فتسنى له التخلص منه - و هم محي الدين ابن عربي (٣١)، و شنكرا تشاريه (٣٢)، و بيدل (٣٣)، و هيغيل

و في ٢٩ - ١٩٢٨م عند ما ألقى الأستاذ إقبال ست محاضرات في موضوع الشكل الجديد للالهيات الإسلامية في حيدر اباد و مدراس و ميسور فلم يوضح فيها فلسفته فحسب و لكنه أيضا وضع الإسلام على محك العلوم العصرية الحديثة و يعتبر اقبال فصلين من كتاب المفكر الانجليزي المعروف بريدلية في نظرية عرفان النفس و المعنون بـ"المظهر و الواقع (Reality& Appearance) ابتشداب العصر الحاضر من ناحية و تم تاليفهما في اثبات الأمرلن جيو لتما، (عرفان النفس)، شيء غير واقعي أو ليس له وجود على الاطلاق

تعريب د/ فيضان بك نوري

مراجع:

(١) Thoughts and Reflections of Iqbal Syed Abdul vahid p.4-5

(٢) كابل (Kapil) باسك عارف عاش في القديم العصور كان مؤسس مدرسة سانكهياه (Sankhya) للفكر لا توجد الآن اية مؤلفاته

(٣) شنكرا تشاريه (Shankar Acharaya) (٧٨٨ ٨٢م) من اكبر دعاة ادويتا ويدانتا (Advaita Vedanta) و تاليفه الشهير تفسير كبرهما

(٤) و (٥) The Development of Metaphysic in Persia p. 14-15

(٦) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ١٩١ ٩٣

(٧) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: عبد الفتاح ابو غدة ص ١٦٢ (١٩٦٩م)

(٨) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ١٢٥

(٩) بدرايانا (Badrayana) يرجع عصره إلى ما بين ٢٠٠ – ٥٠٠ ما قبل الميلاد مؤلف برهما سوترا (Brahamasutra) و يسمى بـ Vedantasutra أو Sharirakasutra كذلك) و هو أول تأليف في الفلسفة الويدانتية ألف تفسيره الشهير شنكر اشاريه و يعتبر في الروايه أن بدرايانا و مؤلف مهابهارتا ويأس (Veyas) شخص واحد.

(١٠) السيد رامانج (Ramanuja) (١٠١١ – ١١٣٧) فلسفة ادويتا وادا (Advaita vada) لشنكر اشاريه (Shankra Charya) و تأليفه الشهير هو شري بهاسيه (Shribhashya)

(١١) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ٣٢٨

(١٢) نفس المرجع ص ٨٢

(١٣) حسب ويبر (Weber) عن ليسين (Lassen) ما يلي

في بداية القرن الواحد عشر نقل البيروني كتاب باتنجلي إلى العربية و على ما يبدو كتاب سانكهية سوترا كذلك و إن لا يتطابق ما عندنا من محتويات الكتابين من متونها السنسكريتية الأصلية. (هندوستاني ادب كي تاريخ ص ٢٢٩)

(١٤) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ٨٢

(١٥) Gabriel's Wing p. 367

(١٦) كان مرشد الشيخ أبي يزيد في التصوف الشيخ أبو علي السندي صوفيا لم يكن يعرف العربية و كان أبو يزيد قد علّمه من سور القرآن الكريم ما يلزم تلاوتها في الصلاة و اذ عرف الشيخ ابايزيد بدوره بالوحدة السريعة فليس من المستحيل أن ابايزيد قد تأثر عن طريقه بالافكار الهندية. H.Ritter دائرة معارف إسلامية ج أول ص ٣٣٩ – ٣٤٢

(١٧) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ٩٣

(١٨) المرجع السابق ص ٨٩،٨٣/٨٢

(١٩) يكتب (Geiger) عن انتشار البوذية فيقول

تأثير الفلسفة و الفكر الهنديين في شعر إقبال

نعلم أن في العصور اللاحقة بعد الاسكندر كانت البوذية قد شاعت و قويت في شرقي ايران و كان أتباعها منتشرين إلى طبرستان و خاصة من المتأكد أنه كان يوجد في بلخ كثير من النساك البوذ و دام هذا الوضع الذي بدأ في القرن الأول لما قبل الميلاد إلى القرن السابع من الميلاد حيث منع ظهور الإسلام انتشار البوذية في كابل و بلخ و الروايات الزرادشتية بشكلها التي أوصلت إلينا التاريخي لابد أن نحسبها بنفس العصر (ج ٢ ص ١٧)

(٢٠) انظروا الشعر التالي من ديوانه جاويد نامه

(في حلقومك ألحان حلوة حنونة فإلى متى تبقى في الوحل تصوت مثل الضفدع)

(٢١) Gabreil s Wing Anna Marie Shimmel p 345

(٢٢) كان منصور الحلاج (٨٥٧ - ٩٢٢م) صوفيا متفانيا في الله الذي هتف هتاف أنا الحق فصلب.

(٢٣) The Twenty eight Upenishads. Edited by Swami Dwarkadas shastri Pracya Paraku kashan Varanasi 1965 (p 336) (Hume s edition)

(٢٤) Brahadaranyaka Upanisha The Twenty eight Upanishads, p 214 (الفصل الرابع الباب الثالث السطر السادس)

(٢٥) بال جبريل ص ١١٥ - ١٢٣

(٢٦) Iqbal and religions other than Islam Tara Charan Rastogi

(٢٧) Multi Disciplinery Approach to Iqbal Asghar Ali Engineer

(٢٨) The Epigrams Attributed to Bhartrhari Edited by D D Kosambi p. 10 Bhartiya Vidya Bhavan Bombay 1948 (Verse No 67

(٢٩) و يوجد منظوما رقم ٢٣٣٧ في كتاب Indische Spruche Otto Bohtling طبعة ثانية St Petersburg)

(٣٠) ميرزا عبد القادر بيدل سيد لطيف شير ص ٧ - ٨

(٣١) هو محي الدين ابن العربي (١١٦٥ - ١٢٤٠ من الهجرة) من جلة الصوفية الكرام و عمالقة الفكر

الإسلامي. ولد في الأندلس وله أكثر من مائة مؤلفة منها فصوص الحكم و الفتوحات المكية اللذان يعتبران من أهم الكتب في الفلسفة و التصوف الإسلاميين. كان مؤمنا و مبلغا لفكرة وحدة الوجود

(٣٢) هو ميرزا عبد القادر بيدل (المتوفى ١٧٢٠م) شاعر هندي معروف في اللغة الفارسية، ولشعره الفلسفي أثر كبير في شعر غالب و في شعر اقبال كذلك إلى حد ما

(٣٣) و ذكر عنه إقبال أن النظام الفكري لبيدل شعر أسطوري في النثر

"Stray Thoughts of Iqbal" in S. A. Vahid's "Theoughts& Reflections of Iqbal"

❖❖

غاندي كما تصوره الصحف المصرية
مواقف ممتعة

بقلم د جلال السعيد الحفناوي

كلية الآداب جامعة القاهرة - مصر

تعد شخصية غاندي من الشخصيات الثرية و التي كان لها بليغ الأثر في تشكيل الشخصية الهندية بملامحها المميزة و الوصول بها إلى مصاف العالمية فلا تكاد تذكر الهند إلا و يذكر غاندي، فهو الزعيم و السياسي المحنك الذي زلزل بمغزله أركان الامبراطوريه البريطانية أقوى الامبراطوريات آنذاك و هو القديس و الصوفي و رجل الدين و المصلح الاجتماعي لهذا صارت شخصيته مادة دسمه تناولتها الصحف في جميع أنحاء العالم، و قد تناولت الصحف المصريه حياته و فلسفته و عاداته و تقاليده و كفاحه في تحرير الهند و صيامه و رصدت كل تحركاته و اشاراته و أقواله المأثورة و منذ اغتياله و حتى الآن لا تزال الصحف و المجلات في كل مكان تنشر أخبارا عنه و عن ذكراه العطرة

و في هذا البحث الصغير سوف أركز باختصار على مواقف ممتعة من حياة غاندي كما تصورها الصحف المصرية فلسنا بصدد عمل مسح شامل لما كتب عن غاندي لأن هذا الأمر يحتاج إلى فريق عمل متكامل يخرج بمجلدات ضخمة و ربما أكثر في هذا الموضوع في الصحف المصرية فحسب ناهيك عن أخبار غاندي في الصحف العربية و الأجنبية

و هذا البحث كما قلت مجرد محاولة متواضعة قد تؤدي إلى عمل موسوعي ضخم و حسبي أنني ذكرت بها و سوف أتتبع أخبار غاندي تاريخيا منذ ميلاده و حتى اغتياله و قد استمتعت بها

١ ـ جاء في جريدة الاهرام تحت عنوان المقاومة السلبية بتاريخ يناير ١٩٤٥م ما يلي

يعد غاندي نبي سياسة المقاومة السلبية التي تقوم على عدم العنف و يسمى (ساتياجراها) و هي ضد القوة و العنف اللذين يسودان العالم و كان غاندي يقول عن هذه المقاومة السلبية أنها ليست سلاحا في يد الأفراد فحسب بل اداة يستطاع بها تسوية العلاقات الدولية و كان الصوم أهم مظهر من مظاهر تلك المقاومة السلبية و قد كتب شاعر الهند الأكبر رابندرنات طاغور يصف هذه الطريقة بقوله (عندما أتى المهاتما غاندي و فتح طريق الحرية أمام الهند لم تكن في حوله قوة ما و لا وسيلة من وسائل الاجبار و لذلك كان التأثير الذي صدر عنه وليد نفسه الجبارة فكان أقرب إلى تأثير الموسيقى الخالدة و الجمال الابدي و كان نفاذها الى اعماق النفوس الاخرى سريعا و حاسما لأنه كان منبعثا من عبقرية ذلك النبي الخالق) و كتب دون كامبل المراسل الخاص لرويتر (إن المهاتما غاندي ذلك الهندوكي العجوز الحكيم الذي كان يكتفي بمئزر حول وسطه كان اعظم قوة انسانية في اسيا و كان صيامه يبعث الذعر في ملايين الهنود اكثر مما يبعثه وابل من القنابل الذرية. و لا عجب فقد وضع صيامه حدا للاضطرابات و القلاقل و استحالت بفضله أنغام الحقد إلى أهازيج الحب و أمكن تفادي الأزمات و الكوارث)

٢ ـ و تحت عنوان جهاد غاندي ذكرت جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٦م ما يلي

كان لغاندي مبدأ في الحياة يؤمن به و كانت له طريقة خاصة في الكفاح يبشر بها و ينشرها بين أتباعه و مريديه و لم يحد عنها اطلاقا مدى حياته و هذه الطريقة تتلخص في المقاومة السلبية و العصيان المدني و كان لمضى سلاح سياسي يستخدمه غاندي بصفة شخصية هو الصيام فكان يستخدمه للقضاء على المصادمات التي تقع بين الهندوس و المسلمين

عاد غاندي في سنة ١٩١٤م إلى الهند و هناك أصبح قائدا للوطنيين و بعد مضي عشر سنوات أصبح زعيما لحزب المؤتمر الوطني الهندي وابتدع العصيان المدني كسلاح سياسي، و بعد أن حضر مؤتمر المائدة المستديرة في لندن سنة ١٩٣١م ألقى القبض عليه و أودع السجن فأعلن صيامه الأول حتى الموت

٢ ـ و تقول مجلة الثقافة في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٤٧م

"من المعروف عن صيام غاندي أنه حينما أدرك أن السلاح الذي في يد خصومه هو العنف و القوة و البطش قابل ذلك بالعفو و التسامح و لم تطل اقامة غاندي في جنوب افريقيا فعاد إلى وطنه و وضع برنامجا شاملا للاصلاح الاجتماعي الذي أخذ على نفسه قيادة حركته و كانت أهم الأدواء الاجتماعية انتشار الخمر بين الهنود و تفشي الزنا و زواج الأطفال و الفقر و الشقاق الديني و نظام المنبوذين و لم يكن يكتفي غاندي في محاربة هذه الرذائل بالمقالات و الخطب و الأحاديث لأنه كان لا يؤمن في التعليم إلا بالقدوة و بالمران ففي معالجة الفقر مثلا دعا إلى المغزل" و طالب أتباعه بأن يجعلوا شعارهم في الحياة "الغزل ـ الغزل" و اتخذ هو لنفسه مغزلا لم يفارق يده و في محاربة الخمر كان من وسائله أن يدعو أنصاره إلى الحانات فيملأون أرجاءها و يستقرون في مقاعدها لا يريمون حتى اذا أقبل الشاربون لا يجدون مكاناً يجلسون فيه فينصرفون

أما تمشي للزنا فكان من أهم أسبابه نظام زواج الأطفال، اذ يزف الفتى و هو دون العاشرة إلى صبيه لم تبلغ مثل سنه فاذا حدث ان مات عنها بعد عام او عامين ترملت و قضى عليها ان تعيش بقية حياتها و هي ارملة، فان التقاليد في الهند تقضى بأن الزوجة التي يموت عنها زوجها لا يجوز لها ان تتخذ من بعده بعلا غيره و هكذا يمتلئ المجتمع بالملايين من هؤلاء الأرامل اللاتي لا يعرفن الطريق إلى الرجل إلا عن طريق الزنا و لذلك جعل غاندي دعوته إلى انصاره من الشبان الا يتزوجوا الا من هؤلاء الفتيات الارامل

٤ ـ و في خبر عن حياة غاندي و عاداته تقول صحيفة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٣١ يناير ١٩٤٨م:

ولد غاندي في ٢ اكتوبر ١٨٦٩م و اسمه الكامل موهانداس كرم شاند غاندي و تطلق عليه اسم المهاتما و معناها الروح الكبير و كان غاندي اب الحركة الوطنية في الهند و له إلى جانب مبادئه السياسية فلسفة خاصة قوامها التصوف و كان محبوبا من ملايين الهنود سواء منهم الهندوكيين او المسلمين.

و لعل ابلغ ما وصف به هو ذلك القول الذي ورد على لسان صحيفته جواهر لال نهرو رئيس وزرا الهند في الوقت الحاضر إذ قال في ١٥ اغسطس ١٩٤٧م يوم استقلال الهند: في هذا اليوم تتجه اذهاننا اول ما تتجه إلى بادئ الحرية و ابن وطننا الذي رفع عاليا مشعل الحرية ليبدد الظلام الذي يغمرنا و ستقدر الاجيال القادمة كما نقدر نحن ابن الهند و سنحتفظ بذكراه عزيزة في قلوبنا، إنه رائع في اخلاصه رائع في قوته رائع في شجاعته رائع في تواضعه

كان غاندي يستيقظ عند الفجر في كل يوم و يذهب لينام حوالي العاشرة مساء و يتكون غذاؤه من مواد قليلة قلما تحول عنها فكان يعيش على عصير

البرتقال و الفواكه و الخضر و على لبن الماعز و كان لا يأكل السمك و اللحوم و الطيور و يصوم عن الكلام في كل يوم اثنين من الاسبوع و إن كان هذا الصيام لا يمنعه عن استقبال زواره و كان يخاطبهم بالاشارة

٥ ـ لقد كان صيام غاندي من الموضوعات التي اسهبت الصحف المصرية في وصفها و تتبعها بشكل يومي فقد جا في الاهرام بتاريخ ١٤ يناير ١٩٤٨م هذا الخبر

بدأ اليوم المهاتما غاندي الزعيم الروحي للملايين من سكان شبه القارة الهندية صيامه الخامس عشر لأجل غير مسمى بالصلاه من اجل وحدة المسلمين و الهندوس في دولتي الهنود الكبيرتين الباكستان و الهند و قد بدا المهاتما غاندي صيامه في حضور عدد كبير من المسلمين و الهندوس و السيخ و قد تابع برنامجه اليومي ـ و كانت الوجبه الأخيرة التي تناولها غاندي تتألف من لبن الماعز و الخضروات المسلوقة و عصير الفواكه ـ و اجتمع به السردار بتل نائب رئيس الوزرا

و في عدد الاهرام الصادر بتاريخ ١٨ يناير ١٩٤٨م و تحت عنوان غاندي على فراش الموت الشروط السبعة للعدول عن صيامه جا ما يلي

كان اليوم خامس ايام صيام غاندي من اجل السلام بين الهندوس و المسلمين و قال اطباؤه انه على الرغم من تزايد ضعفه فانه ما زال يحتفظ بمرحه و معنويته الجيدة و بمعول البشرة الطبية

إن المهاتما الذي هو بغاية الضعف يشعر بثقل في رأسه و تنتابه الام في الكليتين و ان واجبنا يقضي بأن نطلب من جميع الهيئات ان تعمل وسعها لكي تصل إلى انهاء هذا الصيام الذي أصبح في غاية الخطر

و قد املى مولانا ابو الكلام آزاد وزير المعارف في حكومة الهند ببيان في حشد من المصلين المسلمين من اجل السلام قال فيه إن غاندي يشترط سبعة شروط لكي يقلع عن صومه الذي لا نهاية له، ان تعود مساجد المسلمين في دلهي البالغ عددها ١١٧ جامعا ـ و استخدمها الهنود كمعابد لهم ـ إلى مساجد دون أن تتدخل الحكومة في هذا الامر و ان يسمح للمسلمين بان يسافروا في القطارات دون ان يتعرضوا لخطر على حياتهم و ممتلكاتهم و ان لا يقاطع المسلمون اقتصاديا و صرح آزاد للحشد المجتمع بأن غاندي في حالة خطرة و ان اطباءه لا يتصورون حياته صائما أكثر من ٣٦ ساعه و عاد الايرل مونتباتن حاكم عام الهند من ولاية بيكانير و قد جلس اليوم مع الكونتيسة مونتباتن بجانب السرير الذي يرقد فيه غاندي الذي قال الواقع انني على فراش الموت

و قد تحدث غاندي إلى الزعماء الذين اجتمعوا حول فراشه بصوت ضعيف و لكنه واضح لصممه الشديد من اذاعة حديث بالراديو و قال الاطباء إن وفاة غاندي كانت امرا مؤكدا لو انه استمر في صيامه هذا و مما يذكر ان غاندي صام حتى الآن ١٥ مرة في ٣٥ سنه

و يجدر بالذكر ان الهند انقسمت خلال صيام غاندي الاخير إلى جماعات مناصره و اخرى تناصبه العدا و قد انتشر نبأ عدول غاندي عن صيامه بسرعه في دلهي الجديدة و كان من اثر ذلك ان قامت جماعات صغيره بمظاهرات سلمية في الشوارع و كانوا يصيحون "لقد منى أعداء السلام بالهزيمة و كتب النصر لانجيل السلم و انتهى الصيام

و تقول جريدة اخبار اليوم في ١٩ يناير ١٩٤٨م تحت عنوان غاندي يكف عن الصوم بعد موافقه زعماء الهندستان على شروطه

غاندي كما تصوره الصحف المصرية: موفق محمد

عدل المهاتما غاندي اليوم عن المضي في الصيام بعد أن ظل ممتنعا عن تناول الطعام خمسة أيام بالرغم من بلوغه سن التاسعة و السبعين و لم يتخذ قراره هذا الا عندما وعده الزعماء الهندوكيون و السيخ و المسلمون في الهندستان تنفيذ برنامجه السلمي للهندوستان و الباكستان و كانت غرفة غاندي الصغيرة في قصر بيرلا هاوس غاصة بالوزراء و الاطباء و مراسلي وكالات الانباء و مندوبي الصحف و الاصدقاء عندما شرب كوبا من عصير الليمون المحلى بالسكر لانهاء صيامه الذي استغرق ١٢١ ساعة

و كان مندوبو الهندوكيين و السيخ و المسلمين و من بينهم جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهندستان قد اجتمعوا صباح اليوم بعد أن أعلن الدكتور روي طبيب غاندي إن زعيم الهند الروحي الذي اشتد به الضعف لن يعيش الا بضع ساعات أخرى ان هو استمر في الصيام و لم يلبث المجتمعون ان وافقوا على الشروط التي اشترطها غاندي لانهاء صيامه كما اتفقوا على وضع حد للقتال الدائر بين الهندستان و الباكستان و قد وعدوه بتنفيذ برنامجه و ارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتيه و استعان بالدكتور شوسيلا ناير احد أصدقائه على الجلوس في فراشه ثم شرب عصير الليمون الذى قدمه اليه مولانا ابو الكلام ازاد وزير المعارف المسلم في حكومة الهندستان

في ١٩ يناير ١٩٤٨م جاء في صحيفة المصري تحت عنوان غاندي ينهي صومه بشراب عصير البرتقال بعد الزام الهند باحترام حقوق المسلمين

"انهى المهاتما غاندي اليوم صومه الذي بداه يوم الثلاثاء الماضي و دام خمسة أيام و ساعة و اربعين دقيقة و ذلك بان ارتشف قليلا من عصير البرتقال في كوب قدمه له مولانا ابو الكلام ازاد وزير المعارف في الهند و صرح غاندي في

خطاب بالميكرفون وجهه من سريره إلى جمهور كبير ازدحم في حديقة داره فقال "إنني أريد يد الخالق في معجزة الوحدة بين الهندوس و المسلمين و قد أضاف غاندي أيضا أن هذه الوحدة ستخدم جميع العالم و أن على فريق من المسلمين أن يتخلوا عن ضيق أفقهم و يحرقوا الكتب الدينية من هندوكية و سيخيه وغيرها أينما وجدت

و تحدث الأستاذ حسن جلال بالتفصيل عن صيام غاندي تحت عنوان "غاندي و صيامه" في مجلة الثقافة العدد (٤٥٧) فيقول "لما أدرك غاندي بحكم عجزه عن المقاومة العنيفة أن السلبية هي سلاحه الوحيد الذي يستطيع به أن يحارب في سبيل تحقيق أماني قومه أنشأ في جنوب أفريقيا مؤسستين لتربية أتباعه و أنصاره على أعدائهم ليكونوا جنودا عاملين في حسن هذه المقاومة السلبية و كانت وسيلة في تربية جنوده هي تقوية نفوسهم و تعويدهم على الصبر و الحرمان و احتمال الألم لأن كل مهمتهم فيما بعد ستنحصر في تحمل العذاب الذي قد تنزله بهم القوة الغاشمة في سبيل اخضاعهم و حملهم على ما تريد. و من أجل ذلك بدأ غاندي بنفسه فاعتزل المحاماة و نذر نفسه للفقر و العري و العذاب و اتخذ من الصيام عدة له و منهاجا فجعل يصوم كلما شعر بأنه أخطأ في حق نفسه أو في حق غيره ليكفر عن خطيئاتهم بصيامه ثم جعل يصوم أخيرا ليحتج على ما تفعله به و برجاله قوى الشر

و قد أنشأ غاندي في جنوب أفريقيا مؤسستين كانت إحداهما على مقربة من مدينة فونيكس و لذلك سميت مزرعة فونيكس و قد أنشأ فيها غاندي مدرسة ودارا للعلاج و الاستشفاء و الأخرى على مقربة من جوهانسبرج و سماها غاندي "مزرعة تولستوي" اعترافا منه بفضل هذا الفيلسوف عليه و على تكوين عقليته و كانت فيها هي الأخرى مدرسة كان يقوم بها غاندي نفسه بتعليم تلاميذها بالاشتراك مع صديقه الألماني "كالنباخ

٦ ـ كما كان خبر اغتيال غاندي قد لاقى تغطية صحفيه واسعة من جانب الصحف المصريه و نذكر هنا ما جاء في الاهرام بتاريخ ١١/ يناير ١٩٤٨م لانه اكثر تشويقا و تفصيلا فقد جا الخبر في الصفحة الأولى تحت عنوان تشييع جنازه المهاتما غاندي امس احراق جثته عند النهر المقدس نحله نيفاداس يشعل النار و يصلي

في الساعة الرابعه و الدقيقه الخامسة و الاربعين من مسا امس (بالتوقيت المحلي) لقي المهاتما غاندي رسول السلام و المحبه في القرن العشرين و زعيم الهند الروحي حتفه فقد اطلقت عليه و هو في طريقه الى ساحة الصلاة في بيرلا اربع رصاصات اصابته في صدره فسقط على الأرض مضرجا بدمائه و نقل جثمانه إلى داره على أكتاف تلامذه و حوارييه

و لقب مهاتما الذي اضفاه الشعب الهندي على زعيمه الروحي و ابي وطنه موهنداس كرم تشاند غاندي ينطوي في لفظه ولحدة على السبب الذي جعل من هذا الرجل الذي اشتهر بالخجل و التهيب و الحيا اقوى شخصيه في بلاده مدة تربو على ثلاثة اجيال أما معنى هذا اللقب فالروح العظيم و قد نعي الشيخ في راديو عموم الهند بقوله يؤسفنا اشد الأسف ان ننعى اليكم المهاتما غاندي

اما قاتل غاندي فهو رجل هندوكي متطرف في السادسة و الثلاثين من عمره يدعى ناثورام فيناياك جودسي و قد افضى في اثنا التحقيق معه بتصريح قال فيه "إنه لا يقر السياسة التي يدعو إليها غاندي و يتبعها البنديت جواهر لال نهرو"

و ما ان وقع هذا الحادث المؤلم حتى لخطر به تليفونيا جواهر لال نهرو رئيس الوزرا و الوزرا جميعا و كذلك اللورد مونتباتن الحاكم العام و قد نحب

شاهد الهند

نهرو إلى الشعب في الاذاعة فقال: إني عاجز عن التحدث إليكم ذلك أن أبا الوطن قد طواه الموت و انتهى

ثم قال: يتعين علينا بعد هذه الكارثة الفاجعة التي حلت بنا أن نتحد و ننسى خلافاتنا و نكرس أنفسنا للحق و للغرض الذي عاش من أجله و مات من أجله مواطننا العظيم

و قد اجتمعت دوائر الباكستان عندما أذيع هذا النبأ المؤلم على ابداء أسفها و الاعراب عن عميق ألمها فقد قال السيد محمد علي جناح رئيس حكومة باكستان: صعقني نبأ هذا الاعتداء الوحشي الذي تعرض له المهاتما غاندي فأدى إلى موته. و قال السيد محمد يوسف زعيم الحزب الاشتراكي الباكستاني أن ملايين المسلمين في الهند قد فقدوا الرجل الذي كان يحميهم و قد كان غاندي أوفى صديق للباكستان و قال السيد ناظم الدين رئيس وزراء باكستان الشرقية اثر وصوله بالطائرة من دكا إلى كراتشي: إن التاريخ سيسجل هذا الاغتيال كجريمة من أفظع الجرائم الانسانية

و قد احتشد اليوم مئات الالاف من الهندوكيين و المسلمين و البوذيين و السيخ و المسيحيين عند "راج غات" على ضفتي نهر "جومنا" المقدس حيث احرقت جثة غاندي و كانت امارات الحزن البالغ و الألم العميق تبدو على وجوههم جميعا

و قد وضعت الجثة على كومة من خشب الصندل في منتصف الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم بينما كانت اسراب من طائرات السلاح الجوي الهندي تحلق فوق المكان و تمطر الجثة بالزهور و الرياحين و تقدم نهرو إلى الجثة قبل اشعال النار فيها و ركع على ركبتيه و لثم قدمي غاندي و كان

غاندي كما تصوره الصحف المصرية مواقف مصمه

ديفاداس نجل غاندي واقفا على مقربة من النعش عندما اشعل النار في اعواد الصندل و ما ان تصاعدت السنة اللهب حتى اخذ يغذي النار كل بضعه دقائق بعود من الخشب و بعد قليل وضعت على النار عده ارطال من البخور و زيت الكافور و جوز الهند و ما هي الا دقائق حتى تصاعد عمود من الدخان حجب الجثه التي بدلت النار تخفيها عن الانظار ثم ادار ديفاداس وجهه شطر الشمس و كانت قد بدات تميل الى الغروب و طفق يرتل صلوات من الفيدا و كانت الجماهير التي برح بها الالم و الاسى تصيح في غضون ذلك قائلة غاندي غاندي و قد احترقت الجثة بعد عشرين دقيقه و انتهت الجنازه في الساعة الخامسه و النصف

و قد تحرك موكب الجنازة بعد ان حملت كريمه غاندي الكبرى جثمان ابيها الى عربة مغطاة بالأزاهير بعد ان لفت جسده بقماش من القطن الهندي و كشف وجهه

و ما ان تحرك الموكب حتى هتف الناس النصر لغاندي و كانت طاقات الورود و الزهور تتساقط على الموكب طوال الطريق و تملأ الجو عطرا و عبيرا هذا و قد وصف المذيع في راديو عموم الهند الجنازة بقوله "لقد غص المكان الذي احرقت به جثة الراحل العظيم بجماهير من البشر صمم كل منهم على ان يلقي نظرة اخيرة على زعيم الهند الروحي.

و كانت اعلام جميع الدول في دلهي الجديدة منكسه حدادا على الراحل العظيم و قد اشترك في موكب الجنازة جنود من السيخ و الراجبوتانا و المراثا و فصائل من حرس الحاكم العام و وحدات من السلاح الجوي و الاسطول الهندي و كان في مقدمة المشيعين جميع رجال السلك السياسي و كان اللورد مونتباتن

قد وضع على ذراعه شارة حداد سوداء يسير مع كريمانه بين جموع الشعب و كبار الزعماء من أمثال جواهر لال نهرو و سردار باتل نائب رئيس الوزراء و سردار بالديف سينغ وزير الدفاع السيخي و غيرهم من الوزراء و كبار رجال الحكومة و قد تنبأ كبار رجال الحكومة البريطانية بأن اغتيال غاندي سيؤدي إلى إراقة الدماء في الهند و الباكستان على نحو لم تعرفه هاتان الدولتان من قبل و قال مصدر بريطاني كبير على اتصال وثيق بدولتي الهندستان و الباكستان إن مصرع غاندي قد يذهب بكل ما حصلت عليه الهند من خير

و قد نشبت اضطرابات دامية في بومباي أمس بعد إذاعة نبأ اغتيال المهاتما غاندي بنصف دقائق و أذيع نبأ اغتياله في بومباي بعد وقوعه بخمس عشرة دقيقة فتجمعت الجماهير في جميع أنحاء المدينة و اندفع رجال البوليس و الجيش إلى المناطق المضطربة و الجماهير الثائرة تهاجم دور الجمعيات المتطرفة و أذيع أن البوليس ألقى القبض على غيرهم

و دعيت قوات الجيش و البوليس إلى بومباي و بونا على إثر اعتداء الجماهير على دور و متاجر أعضاء جمعية (ماهسبها) و هي الجمعية الهندوسية المتطرفة التي كان ينتمي إليها في وقت ما (ناثو رام فناياك جودسي) المتهم باغتيال غاندي و هاجمت الجماهير المكتب المركزي لجبهة اتحاد الهند (التي تناوئ فكرة الباكستان و هي هيئة هندوسية) و أخرجت أثاث المكتب إلى الطريق و أشعلت فيه النيران و انتقلت قوات الجوركا أخيرا إلى منطقة جيرجوام لتعاون البوليس في إلقاء القبض على الذين يخرجون من دورهم مخالفين الأوامر بمنع التجول

و قام البوليس المخصوص بتفتيش مختلف مكاتب الهيئة العسكرية الهندوسية في بومباي الكبرى و اعتقل زعماء الهيئة و في بونا اعتقل البوليس

ستة اشخاص لهم لتصال بنشاط (المهاسبها) و قام البوليس بتفتيش منزل جونسن كان كل منهم يبتغي الخير و الحرية و السلطان لشعبه و لكن ما لبعد ما افترقت بينهم و بين غاندي المثل و الوسائل رفض ماديه الغرب و التزم روحانية الشرق لمن و بشر بتعاليم اهمسا التي تدعو إلى اجتناب العنف

لحاطت به جماعة من شباب الشيوعيين في كراتشي سنة ١٩٣٦م و حاولوا ان يوقعوا به الأذى فقال لهم في ايمان و ابتسام تتهموني إنني خنت الهند لن لشكو اذا اعتديتم علي ليس من حولي حراس فالله وحده هو الذي يرعاني بعض الناس يحسبونني مشعوذا مجنونا لأنني أحب أعدائي و لكن هذا هو ديني و إيماني ليس لي من سلاح أشهره في وجوهكم غير الحب

كان الحب سر عظمة غاندي، حب الله و حب الكون الذي ابتدعه و حب كل الكائنات لم يمارس العنف في حياته قط و لم يظله الشك و لا الحقد و لا الشهوات انظر إلى تصويره البارع للوطنية إنني اذ لحجم الهند لا لبتغي اذا لية لمة أخرى

كان غاندي مؤمنا بالبشرية جمعاء، كان يؤمن إن الله الذي منحه الحياه لم يستودعه اياها فحسب بل استودعه إن يصون كل حياة، ان يكون في الأرض عامل سلام و محبة و اخا فلما واجه الظلم لم يرفع سيفا و لكن المن عصا من اغصان السلام فوقف الظالمون مبهوتين لحسوا ان هذا الرجل الهزيل الضئيل قهر بقلبه الرقيق جبروتهم لحسوا انهم ينظرون إليه و قد ضلوا سوا السبيل فهو لا يلعنهم و لكن يصلي من لجلهم تسامت به العظمة إلى اعلى عليين فجعلهم كالمذنبين في الهيكل او كالتائبين عند قدمي الآلهة

لقد ذهب هتلر ضحية للنار التي اوقدها أما موسوليني فمثله شعبه و ترك كل منهما امته جاثية عند اقدام المنتصرين اما غاندي فقد ترك أمته و قد

بلغت في مراتب الحرية و الكرامة درجات و تروج اسمها باسمه و ترك للعالم ثروة روحيه كتب لها الخلود مما لجدرنا لن نحني هاماتنا جميعا أمام جثمان هذا الهيكل البشرى الضعيف الذي هز ايمانه قوائم امبراطورية و اهوى إليه في معزله قلوب الملايين من مختلف الأجناس و الاديان

٨ ـ و تحت عنوان الحب هو الاقوى كتب الأستاذ سعيد سنبل يوميات الأخبار في صحيفة الأخبار بتاريخ ١٧ يونية ١٩٦٣م نذكر منها هنا مجموعة من "أقوال غاندي

- إن وسائل السعي ورا الحقيقة بسيطة بقدر ما هي معقدة فهي تبدو مستحيلة في نظر المتعالين ميسرة بالنسبة للطفل الصغير ذلك لأن على الباحث عن الحقيقه أن نكون أكثر تواضعا من تراب الأرض

- ليهلك مئات مثلي و لنبق الحقيقة و تعلو و لنربأ بأنفسنا عن أن ننزل و لو قيد شعرة عن مستوى الحق حينما نحكم على البشر الذين يجور عليهم الخطأ و الذين هم إلى فناء

- إن البعد عن استخدام العنف هو البند الأول من دستور عقيدتي و لقد صادفني في حياتي العامة مناسبات عديدة كنت استطيع أن اظفر فيها لنفسي بالثأر و لكنني آثرت الا افعل ذلك و نصحت اصدقائي أن يحذوا حذوى ذلك لأنني كرست حياتي للدعوة إلى عقيدة البعد عن استخدام العنف فلقد درست هذه العقيدة في تعاليم الأساطين الذين قاموا يعلمون هذا العالم من أمثال زرادشت و مهافير و المسيح و محمد و نانك و كثير غيرهم

- إن عدم العنف الذي أنادي به لا يبيح لنا أن نولي فرارا أمام الخطر تاركين من يعرون علينا بغير حماية فلو أنني خيرت بين استخدام العنف و بين

قرار الجبناء لاحترت العنف و إني لست بمستطيع ان ادعو الجبان الى البعد عن استخدام العنف اكثر من ادعو الأعمى إلى الاستمتاع بالمناظر الجميلة فان تنزيه النفس عن استخدام العنف هو اعلى مراتب الشجاعة

- ان إيماني بالهندوكيه لا يتسم بصبغة الطائفية و إنما يشمل خير ما احتوت به من فضائل الاسلام و المسيحيه و البوذية و المجوسية ان الحق هو عقيدتي و البعد عن العنف وسيلتي و لقد كفرت بشريعة السيف إلى غير رجعة اني اكن للمسلمين من الحب ما اكنه للهندوس

- إنه لكذب و افتراء على الله ان نقول إنه عز وجل قد عزل فريقا من خلقه و نصفهم بأنهم منبوذون

- إن المرأة في رايي هي التضحية مجسمه ولكنها مع الأسف لا تدرك ما لها من مميزات هائلة على الرجل

١ - و تحت عنوان في كلمتين كتب الأستاذ موسى صبري في جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٦٥م ما يلي

"كان اكل اللحم في نظر افراد اسرته سيئا سيئا ممقوتا تنهى عنه تعاليم الديانة الهندوكيه و تقاليدها و لكن صديقا له كان يغريه على الهجوم خلسة على قطع من لحم الماعز كان صديقه يؤكد له ان متاعب الهند و مشكلاتها مستحيلة لذا اقبل الهندوس على اكل اللحم و كان يثير حوافزه ببعض ابيات من الشعر تقول

انظر إلى الانجليزي الجبار الذي يحكم الهندي القمئ فلانه اكل لحم، كان طوله خمس اذرع و لذلك قرر الفتى غاندي و كان في الرابعة عشرة من عمره ان

ساكل لحم الماعز من وراء أسرته و ثار عليه ضميره و بدأت نفسه تشمئز و لاحقته الاحلام المزعجة فقرر أن يعترف بخطاياه و امسك بورقه و قلم و سجل اعترافا كاملا بكل ذنوبه و قدمه إلى والديه و اقسم إلا يعود إلى السرقة و اصبح هذا الشاب النحيل زعيما يهز الامبراطوريات بكلمه الصدق و دعوة الحق نابعه من نفس صافية طاهرة

١١ ـ و قد تناولت الصحف المصرية جميع جوانب حياة غاندي و فلسفته و قلما نجد صحيفه مصرية لم تذكر بعضا من فلسفته او اقوالا ماثورة عنه و فيما يلي جانب من هذه الأقوال الماثورة

- حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه لا بالسلاح الذي تخشاه أنت (الاهرام ١١ نوفمبر ١٩٧٤م)
- ليس في حياة الافراد و لا في حياة الشعوب خطا لا يمكن اصلاحه فالرجوع إلى الصواب يمحو جميع الأخطاء (الاهرام ٤ ديسمبر ١٩٧٤م)
- الوطنيه و الانسانية واحد في نظري انا وطني لأني إنسان (الاهرام ١ ديسمبر ١٩٧٤م)
- الحب اكبر قوة في العالم و مع ذلك فهو اكثرها تواضعا (الاهرام ٣ ديسمبر ١٩٧٤م)

إنني لست إلا طامحا ضعيفا دائم الاخفاق دائم السعي (الاهرام ١٥ يناير ١٩٧٥م)

- ان الجنس البشري واحد لان جميع افراده يخضعون لقانون الاخلاق (الاهرام ١٩ يناير ١٩٧٥م)
- إن عدم العنف في رأيي هو اكبر قوة ايجابية في الدنيا (الاهرام ٢ يناير ١٩٧٥م)
- إننا نستطيع ان نبهر العالم اجمع عن طريق الحب و الحق (الاهرام ٨ مارس ١٩٧٥م)
- أول حكمة ان نعرف الحق و آخر الحكمه الا نعرف الخوف (الاهرام ٣ اكتوبر ١٩٧٦م)
- ما دامت روح الحب تهديني إلى غايتي فسوف يجري كل شيء على ما يرام (الاهرام ١٣ ديسمبر ١٩٧٦م)

وجاءت هذه الاقوال المأثورة عن غاندي في الاهرام المسائي بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٩٣م قال غاندي اياكم و هذه الخطايا

١- السياسه بلا مبادئ

٢ - القدوة بلا عمل

٣ - السرور في غيبة الضمير

٤ - المعرفة بلا اخلاق

٥ - التجارة بدون اداب للمهنه

٦ - العلم بلا إنسانية

٧ - العبادة بغير تضحية

ثم قال

- لا تصدق من يمدح كل الناس و لا تسمع لنصيحة من لا يعمل بها

- صديقك من صدقك عند المحنه و فرح لسرورك عند انفراجها

- المرأة التي لا تعرف الغيرة ربما تولد غدا

- ما افقر اولئك الذين لا يملكون اي قدر من الصبر

- لا يطفئ مصباح العقل غير عواطف النفس

١٢ - و بمناسبه العيد المئوي لميلاد غاندي جاء في الاهرام تحت عنوان ملامح صغيرة بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩٦٨م ما يلي:

طريق الشوك و العذاب الذي مشى عليه غاندي زعيما للهند مناديا بالصمت ضمير الانسانية في كل مكان لتحرير وطنه من عبوديه مستعمر جا

يفرق بين البشر لونا و جنسا و وضعا اجتماعيا صارخا فمضى على ما كان و بشر بما هو قادم يحلم به تحت افق الحب و السلام الهب كتاب العالم المتحضر و على راسهم في عالمنا العربي احمد شوقي الذي كتب قصيدته التي غنتها سيدة الغناء ام كلثوم لنا الحفل الذي اقامته مصر مشاركة في الاحتفالات العالمية بنهاية قرن و ميلاد قرن على ميلاده و لعل نفس المناسبة هي التي الهبت الشاعر عمر غسل ليؤلف قصيدة من ١٤ بيتا اسماها إلى الانسان الحائر و مطلعها

أيها الحائر في درب الحياة … أيها الثائر من ظلم الطغاة

أيها الغارق في بحر الظنون … ما الذي يثنيك عن طوق النجاة

ذاك (غاندي) لم يزل في أرضنا … كوكبا للنور قامس في هداه

إنه الحب الذي من سره … عاش شعب الهند مرفوع الجباه

و عن العيد المئوي لميلاد غاندي كتب الأخبار بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩٦٨م هذا الخبر

حضر ٨ مدعو اولى احتفالات القاهرة التي ستستمر على مدى سنة بمرور مائة عام على مولد غاندي و الذي أقيم في قاعة الف ليله و ليلة في فندق هيلتون القاهرة بدعوة من محمود يونس رئيس جمعية الصداقة العربية الهندية و كان بين الحاضرين ام كلثوم و الشيخ المدني مندوب الهند في مؤتمر علما المسلمين و د. كلوفيس مقصود مندوب الجامعة العربية السابق في الهند و كان من المتحدثين في الحفل وزير الثقافة د. ثروت عكاشه و قد تحدث عن كفاح غاندي و عبد الخالق حسونه امين الجامعة العربية تحدث عنه كداعية سلام كما

لتذيع في الحفل بصوت أم كلثوم تسجيل لها لقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي عن غاندي التي تقول

بني مصر ارفعوا الغــــــارا	و حيوا بطل الهـــــــند
و أدوا واجبا و اقضــــــوا	حقوق العلـــــــم الفرد
نبي مثل كونفوشــــيـــــو	س أو من ذلك العهـــــــد
قريب القول و الفعــــــــل	من المنتظر المهــــــدي
شبيـــــه الرســـــل بالذود	عن الحق، و في الزهــــــد
لقد علم بالحــــــــــــق	و بالصبر و بالقصــــــــد
و نحا الأنفس المرضــــــى	فداواها من الحقــــــــد
دعا الهندوس و الاســـــلام	للالفـــــــة و الـــــــود
بسحر من قــــــــوى الروح	حوى السيفين في غمـــــد

و في ١٥ نوفمبر ١٩٦٨م جاء في جريدة الأهرام تنويه عن كتاب غاندي "في سبيل الحق أو قصة حياتي" على هذا النحو

الكتاب بقلم الزعيم الهندي المهاتما غاندي الذي يحتفل العالم على مدى أيام هذه السنة بمرور مائة سنة على مولده و يروي فيه تاريخ حياته في ٧٢ فصلا متحدثا عن زواجه و هو في الثالثة عشرة من عمره و دراسته للحقوق في انجلترا و جهاده في جنوب افريقيا عندما راح إليها ليعمل محاميا و أولى تجاربه مع التمييز العنصري ثم الكفاح لتحرير الهند بغير عنف و في خلال

فـصـول الـكـتـاب (٢٦٤ صـفـحـة) يشد غاندي للقارئ معه في كل تفاصيل حياته ومـقـابـلاتـه و كـفـاحـه الـكـتـاب ترجمه محمد سامي عاشور و أصدرته مكتبة الثقافة الشعبية بدار المعارف

❖❖

العلوم و التكنولوجيا في الهند
من القرن العاشر إلى الثامن عشر

بقلم د. ايه رحمان

قد شهد القرنان - التاسع و العاشر ازدهارا كاملا للنهضة العربية و كان الأدب الهندي و الاغريقي يعتبران مصدران مزدوجان للمعرفة الرئيسية في مجالات العلوم و الفلسفة و الأدب فبدأ الباحثون من البلدان العربية و ايران و اسيا الوسطى يتوافدون إلى الهند و يكتبون عن العلوم الهندية و الفلسفة و الديانة و الأعراف الاجتماعية و من بين الكتب البارزة لذلك العصر كتاب الهند لصاحبه البيروني و الذي يتناول كافة جوانب الحياة و المعرفة و الساحة الاجتماعية للهند. و من الغريب انه بينما كان الباحثون من هذه المناطق يحاولون الحصول على ثروة المعرفة الهندية و استيعابها في ثقافتهم فإن الباحثين الهنود لم يكونوا على وعي بما كان هناك من تطورات خارج الهند فبدلت هناك عزلة كاملة للباحثين الهنود حتى القرن العاشر مما جعل البيروني يقول انه إذا أردنا ان نقول لبعض الباحثين في الهند ان هناك باحثين بارزين في خراسان لما صدقوا ذلك ابدا

و كانت هذه الظاهرة على عكس الفترة السابقة التي كان للباحثين الهنود فيها على معرفة مباشرة عن التطورات خارج الهند و يتضح هذا من ملاحظات فارها ميرا الذي اعترف بمساهمة لا باس بها قدمها الباحثون الاغريق و الجدير بالذكر على سبيل المثال هو التطورات التي شهدتها الهند قبل وصول

الباحثين المهاجرين و في مجال الرياضيات احرز تقدم ملموس قبل مجيء الباحثين المهاجرين من ايران و غرب اسيا و اسيا الوسطى فبعد سريدهارا بساريا (٩٩١م) و سريباتي (٥٩ - ٣٩ ام) و بهاسكارا بشاريا الثاني (١١٥م) من علما الرياضيات و الملكيات البارزين لذلك العصر و قام الاخيران باكتشاف طريقة حل معادلات تربيعية - و تناول غانيتاتيكا لصاحبه سريباتي مسائل التبدلة و التوافقيه و منزلة النظرية و التناسب، و قد ترجم كتاب "ليلاڤاتي" الذي الفه بهاسكارا الثاني خلال عهد الامبراطور المغولي اكبر لما كتابه الاخر بيجا غانيتا فقد تمت ترجمته في عهد الامبراطور شاهجهان من قبل عطا الله رشيدى و يقدم كتب الرياضيات و الملكيات لهذا العصر بيانا تفسيريا واضحا عن الارا التجريبيه الخاصة بالرياضيات و الملكيات و في علم الجبر قدم بهاكارا النظريه الحديثة لتقليد العلامات و استخدام الكلمات لاجل الإشارة إلى الكميات الغير المعروفة و تتضمن أعماله أصول الحساب للتفاضل و التكامل

و قد تم احتراع عدد كبير من الالات الملكية و استخدم بهاسكارا الثاني الالات العديدة و في مجال الطب كان يسود هناك نظامان رئيسيان اولهما طب الاعشاب المحليه (الايورفيدا) و ثانيهما (سدها) و في طب الأعشاب قدم كل من تشارك و سوسروت اسهاما بارزا و كانت سامهيتا يعتبر نصوصا معترفا بها استخدمت مع التعليمات التي كتبت فيما بعد

اما نظام سدها الذي نال قبولا واسعا في الجنوب فاستمد كثيرا من الممارسات الخيميائيه و السحرية و مقابل طب الاعشاب المحلية الذي استخدم الادوية الاعشابية ركز نظام سدها على منع تاكل جثة للبشر عن طريق استخدام الادويه المعدنيه

كما شهد القرن العاشر بداية توافد الباحثين من البلدان العربية و إيران و آسيا الوسطى جماعات و أفواجا إلى الهند بعد الغارات و الدمار الذي حصل على أيدي جنكيز خان فمعظمهم جاءوا كلاجئين و البعض منهم الآخر جاء بغية للحصول على الاعتراف و الكرامة التي كانت تمنح لهم من قبل الملوك في الهند جاء معظم الباحثين العرب إلى جنوب الهند بينما وصل الباحثون من ايران و آسيا الوسطى إلى شمال الهند و عندما ننظر إلى اسهامات هولاء الباحثين فنجد ثلاثة اتجاهات واضحه المعالم

أولا كان هناك نشاط الترجمة للكتب على نطاق واسع عن العلوم المختلفة خاصة في الرياضيات و علم الفلك و الطب و علم النجوم من اللغة السنسكريتية إلى العربية و الفارسية و ثانيا كانت تبذل الجهود لتبني المعرفه الهندية أو مزجها بمعرفه الباحثين المهاجرين و ثالثا تطوير نظم جديده كثمره للممارستين السابقتين و كان الانتاج العلمي في اللغة السنسكريتيه في شكل منظوم نظرا إلى التقليد الشفهي لنقل المعرفه و في الوقت الذي جاء فيه الباحثون المهاجرون إلى الهند فان تكنولوجيا الورق كانت قد تميزت بمستوى رفيع من التطور و كان الورق يستخدم لنشر المعرفة و تتميز انتاجات تلك الفترة بميزات خاصه يمكن أن نلخصها فيما يلي

١ـ استخدام اللغة الغير المعقدة و السليمة (ii) التعريف بالمصطلحات المستخدمة (iii) طرح الأسئلة و تقديم حلولها (iv) تقديم النماذج للطلبه/ للقراء لحلها (v) عرض المنطق الارستقراطي المعتمد على الفلسفه الاغريقية (vi) تقديم الهدف الثلاثي للمعرفة ـ الحاجات الدينيه و الزراعية و المتطلبات و الحاجات اليومية للحياة و هي اضفاء الصبغة العملية على المعرفة (vii) الإستشهاد بأعمال المتخصصين و الإعتراف بأعمال الأسلاف و مناقشة

وجهة الآراء المختلفة و تعميم الآراء في تأييد نظرية و ضدها (viii) توسيع أساس المعرفة لمعالجة المجالات الجديدة مثل (أ) الجغرافيا (ب) الجيولوجيا (ج) علم الجواهر و المجالات المتعلقة (د) المعرفة التفصيلية عن الحيوانات و النباتات (هـ) الفيزيا و خاصة البصريات و الثقل النوعي للخاص و المغناطيسية و مفهوم الحركة و الزمن و الآلة لقياس الزمن (ix) جمع الفهارس و فحص الجداول و تطوير الآلات لهذه الأغراض (x) ترجمة النصوص السنسكريتية و التعرف عليها و تبني معظم الميزات للتقاليد السنسكريتية. (xi) دراسة الآراء الدينية التي تعترض أحياناً سبيل الآراء العلمية الخاصة

و قد لفت الحاجات الدينية للباحثين المسلمين المهاجرين إلى إسهامات جديدة في المجالات العديدة مثل الزكاة و الصدقة و في الرياضيات و في الجغرافيا من أجل تحديد جهة القبلة و تحديد التقويم القمري و مواعيد المهرجانات و توزيع المواعيد لتقدير أوقات الصلاة في الفصول المختلفة

و قد أثرت الاتجاهات الدينية في مجال الترجمة في أوائل الفترة السابقة على سبيل المثال عندما كان كتاب براهات سمهيتا و قمه فاراهاميرا يترجم بأمر السلطان فيروز شاه تغلق فقد حذفت بعض الأبواب منه ظنا بأنها لا تطابق مبادئ الإسلام

و قد عالجت معظم الكتب حول الرياضيات قضايا خاصة بالإيرادات و نسبة الفوائد المصرفية و توزيع الأملاك و توجد فيها بعض التطورات الجذرية أيضا و تعطي سلسلة الكتب المتوفرة في الرياضيات فكرة عن نوعية المسائل المطلوب معالجتها مثل الأوزان و المقاييس الهندية و كذلك تلك التي جاءت من الخارج و جدول الضرب بما فيها كسر الضرب و الجداول عن الأملاك و وحدات

المساحة و العدد لما فيما يتعلق بمجال الزراعة فإنها تناولت موضوعات الزراعة و مسح الأراضي و مساحة الأراضي و اقترحت بطرق وضع الحسابات و تقدير الضرائب و الغرامات و الرواتب و المنح الدراسية و التعويضات و المكافأة و في بعض الحالات قد تبنت طريقة إحصائية أيضا

و من التطورات المثيرة و الممتعة لذلك العصر اصلاح العملة على أيدي تودرمل و شيرازي في عهد الامبراطور أكبر فقد كشف شيرازي و حدد الانخفاض في ثقل العملة بسبب تداولها عبر فترة من الزمن و اقترح باعادة سكها

و رغم أن كتاب "ليلافاتي" لصاحبه بهاسكارا سبق أن ترجم في عهد اكبر فإن كتاب خلاصة الحساب للرياضيات الذي ألفه بهاء الدين لمولى كان جزءا للمقررات الدراسية في المدارس غير أنه كان هناك عوز التفاعل في مجال علم الهندسة و يعود سبب ذلك إلى الاختلاف في طرق معالجه الموضوع و كان علم الهندسه الهندي مقابل التقليد الاغريقي الذي تبناه الباحثون العرب مبنيا على الاستدلال حيث تكمن أصله في الطقوس و التأملات الكوزموغرافية و يتضمن كتاب من المقرر الدراسي حول الرياضيات تحت عنوان دستور الباب في علم الحساب و ألفه الحاج عبد الحامد في القرن الرابع عشر تعليقا مهما في المقدمة جاء فيه أنه بينما كانت هناك تناقضات و نزاعات في الأدب و العلوم الدينيه فإن الاثنان لا يختلفان في نقطة واحدة و هي أن الرياضيات هي مادة لا يوجد فيها أي نزاع أو اختلاف في الآراء

كان هناك عدد كبير من الكتب حول علم الفلك و النجوم و كان في بلاط معظم الملوك المسلمين منجمون من المسلمين و الهندوس معا لاطلاعهم على

المواعيد و الاوقات السعيدة و في علم النجوم كان تدوين الزيج يعتبر عملية مهمة و ذلك على تلك الخطوط التي وضعها اولوغ بيغ و في عهد الامبراطور اكبر قد تمت ترجمة زيج اولوغ بيغ الى اللغة السنسكريتية و يعتبر تاراساريني لصاحبه كيمالا راما سيرى حال ترجمة لزيج اولوغ بيغ و للزيج الاخير للذي تم إعداده كان زيج محمد شاهي الذي اعده جاى سينغ و قد الف كتاب ساسماوات عندما اعتلى اكبر إلى عرش الحكم و يتناول هذا الكتاب كلا من علم النجوم و الفلك و يجمع بين التقاليد الإسلاميه و الهندية و كذلك يوفر معلومات عن تاثير النجوم في مزاج الأطفال و اختيار المواعيد للزواج و بنا البيوت و الزرع

و مع ان الاطار النظري لهذا الكتاب هو بطليموسي و لكن الجهود قد بذلت لدمج المفاهيم و المصطلحات الهنديه و إضافة الى ذلك إنه يقدم تعريف المصطلحات المستخدمة في اللغات العربية و الفارسيه و السنسكريتيه ـ و تسيير عمل مهم قام به ملا محمد الجونفوري (١٦٥١ ـ ١٥٨٥م) و يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر و ملاحظات متلاحمة لمرزا خير الله مهندس لحد زميل جاى سنغ الى ان مدارات الكواكب هي بيضاوية الشكل و بالإضافة إلى اعداد الزيج قام جاى سينغ بتطوير بعض الأدوات الحاسوبيه الرئيسية مثل الاسطرلاب و وضع مهيندر سورى الذي كان منجما لدى الامبراطور فيروزشاه تغلق في القرن الرابع عشر في كتابه ياترا راجا الذي يعد من أعماله البارزة حول الأسطرلاب

و مجال الطب هو الاخر الذي ترجم فيه عدد كبير من النصوص إلى اللغة العربيه و الفارسيه و سهد الطب اليوناني تغيرا بارزا من لصله العربي و طور له اسلوبا جديدا في الهند بتبنى ممارسات طبية هندية و إن عددا من الأدوية التي

كان يستخدمها الأطبا اليونان خارج الهند لستخدم في طب الاعساب المحليه مثل الافيون و العقاقير الاخرى و عدة من الأدوية الأخرى من اسيا الوسطى و إيران و الصين و اصبحت تلك الادويه التي كانت جزءا من نظام الطب اليوناني رائجة في الهند

و في أوائل القرن الرابع عشر خلال عهد محمد بن تغلق تم اعداد كتاب يتضمن ٤٦ بابا قد خصصت الفصول الإحدى و الأربعين الأولى منه بوجه كامل للطب المختص بإحراق الزئبق و الذهب و الفضه و النحاس و ما إلى ذلك و خلال عهد سكندر لودى قام موهو بن خواص خان بإعداد كتاب حول الطب و اهم ما يتميز به هذا الكتاب هو توفير معلومات عن الاعشاب و قد ذكرت اسمائها باللغات السنسكريتية و العربيه و الفارسية و اللغات الهنديه الأخرى

و من بين التطورات الهامة لهذا العصر كتابة الموسوعات و استوعبت الموسوعه التي كتبت في عهد الامبراطور همايون (٥٦ - ١٥٣) عددا من المواد من امثال علم الفلك و الفيزيا و الجغرافيا و الجيولوجيا و الضرب بالرمل و المعدنيات و علم النبات و الحيوانات و علم ترويض الصقور و الطب و الجراحة و الرياضيات و في الجغرافيا تبين الكتاب موقع الهند و الصين فالأولى محاطه بالبحر في الشرق و الجنوب و الغرب بينما الثانيه الواقعه بشمال الهند تحيط بها الجبال الهنية كما تصف الأنهار و الطقس و المناطق المختلفة، و يتضمن المعلومات عن المعادن المختلفه و الأماكن التي توجد و تستخدم فيها أما الابواب الخاصة بعلم الحيوانات فتصف الحيوانات على اختلاف انواعها بما فيها تلك التي لا توجد في الهند مثل الزرافة و النعامة و الفصل الخاص بالطب يتميز بالشمولية حيث يغطي علم وظائف الاعضاء و الأنواع المختلفة للأمراض و علاجها

و كان هناك اهتمام كبير لدى جميع الملوك بالصيد فكانوا يعينون مسئولاً خاصاً يسمى بـ امير الصيد و كانت وظيفته عبارة عن تنظيم بعثات الصيد و كان الاهتمام الخاص منصبا على بكاثر و تدريب الصقور و توجد هناك كتب مفصلة حول ترويض الصقور كما كانت عمليه القنص على النمور و تدريبها لغرض الصيد من العادات المالوفة من ذلك القرن

كانت الزراعة بمثابة دعامة اساسية لدى المجتمع و لذا تركزت العناية الخاصة على تنمية تسهيلات الرى عن طريق انشاء القنوات و خزانات المياه و كتبت البحوث الخاصة عن الحياة النباتية و انواع اخرى من الزروع و طرق زرع الخضروات و الاعشاب و الاثمار المختلفة و السماد اللازم استخدامه و طرق ابادة الحشرات المؤذية و خزن الخضروات و الاثمار و الظروف الجوية المناسبة للمحاصيل المختلفة

و قد انحزت معظم العمليات التنموية في مجال المنتوجات و الحرفة و المجالات الاخرى التي يمكن تلخيصها في اربع فئات اولاً التكنولوجيا البنائية و ثانيا التكنولوجيا النباتيه و ثالثا التكنولوجيا المعدنية و اخيرا تكنولوجيا المواد و المنتجات المستخدمة في الحياة اليومية و في مجال التكنولوجيا البنائيه قد بذلت الجهود لصنع ما يمكن للملوك ان يخلفوه تذكارا لذلك العصر و في البداية كانت العمليه محصورة على بعض الآثار التذكاريه مثل العمود الحديدي في مجمع قطب بدلهي و الأعمدة الحجرية في كوتلة و قام شيرازي علي كونه عالما للاصول الشرعية بتطوير ما كينة لتنظيف ماسورة البندقية و مصنع للعربات و حمام متنقل في عهد الإمبراطور اكبر و يوجد ذكره في آئين اكبري

و صدقنع صلك صيدان بعلعة غولكنده ينطق بلسان حال من مهارات هذا العصر في مجال عمل المعادن و السبك و يمكن للمرء أن يلاحظ هذه المهارات التي تتجلى في عدة تماثيل بوذا و مهافيرا و الالهة و الالهات الاخرى و في مجال البناء كانت الجهود موجهه نحو ترك بعض الاشياء النادرة للجيل القادم و بإمكان المرء أن يشهدها في منارة قطب أو القلعات في دولت آباد و غولكنده و تغلق آباد و اضفى مزيد من الاتقان على تكنولوجيا البناء مما ظهرت نتائجه في قلعة فتح بور سيكرى باغرة و القلعة الحمراء بدلهي و من بين التطورات المثيرة لذلك العصر هو الدقة في البناء الداخلي للقصور مثل الديوان العام و الديوان الخاص في القلعة الحمراء و قد تم تشييد المعابد في هذا العصر باستخدام الاحجار و المرمر بانواع مختلفة و لا تظهر المساجد و الضرائح التي شيدت على أيدي الملوك مجرد الدقة في استخدام مواد البناء و إنما تظهر درجة رفيعة من المهارة الحرفية و شعورا رقيقاً للجمال و تميز علم المعادن بمستوى رفيع من التطور يتمثل في العربات المدرعة و الأسلحه و أنواع اخرى من الماكينات لوقاية الجسم و يذكر أبين اكبرى عدداً كبيراً من الأسلحه التي كانت تستخدم آنذاك و كذلك قد تحقق النمو و التقدم في صناعة الصواريخ خلال هذا العصر و استخدمه تيبو سلطان في الحرب التي خاضها ضد البريطانيين

بالإضافة إلى ذلك بلغت تكنولوجيا سك العملات و صنع الحلي و الجواهر إلى ذروة الكمال و كان للملوك احتكار للمعادن و كان صهر المعادن يتم قرب مواقعها في الافران من أنواع مختلفة من حيث الطول و القياس و يمكن أن نلاحظ بعض النماذج منها في قلعه امير في جاى بور

و قام الملوك بإنشاء المصانع للأسلحه و الحلي و كانت العملات تصنع بالمواد المستخدمة في الحياة اليومية و اتاحوا فرص العمل لألوف من

ثقافة الهند

لأصحاب الحرفه ذوي الكفاءة العالية و المهارة المميزة من الهند و خارجها و كان هؤلاء الحرفيون يقيمون في الأحياء المختلفة و هكذا أصبحت هذه الأحياء في دلهي مخصصة لأصحاب الحرف من الصين و خراسان و دمشق و بغداد و إيران و مما يقاس به مدى تقديرهم لدى الملوك أنهم تلقوا دعوات من البلاط الملكي للانضمام إلى الأسرة الملكية و قد تطورت تكنولوجيا المنتوجات بدرجة كبيرة و صنعت الملابس الدقيقة بخيوط الذهب و الفضة و كذلك قد تحقق النمو في تكنولوجيا الحرير مما تمثل في حياكة الملابس الخاصه للملوك و النبلاء و النبيلات و هناك اختراع ملموس في الملابس و خاصة في ملابس نورجهان التي حاولت دمج الطراز الهندي و الإيراني معا و قام السلطان زين العابدين لكاشمير بتطوير فن صناعة السجاد و قد انشئت المراكز في الجنوب و كذلك في شمال الهند لصنع السجاد ذات تصاميم عديدة و استخدم النحاس و المواد الأخرى لصنع الأوعية الجذابة للاستخدام اليومي و تم ترويج عمل الصقل بالقصدير لطلي الأوعية النحاسية و الجدير بالذكر أن معظم الآلات قد استعملت لإنتاج المواد المستخدمة في الحياة اليومية لشخص عادي و النبلاء على السواء و كل ذلك يدل على دقة الصنعة و اتقانها

و ازدهرت تكنولوجيا الورق خلال هذا العصر فأقيمت المراكز في المناطق المختلفة للهند لإنتاج أنواع عديدة من الورق و قد تميز نوع خاص من الورق بمستوى رفيع من التطور لكتابة المخطوطات و هكذا و عند ختام القرن الثامن عشر وضع أساس جديد للتقدم الحضاري و لكن هذه العملية توقفت بسبب استعمار شبه القارة

تعريب د. فرحانة صديقي

❖❖

مساهمة الأوربيين

في تطوير الفكرة البيئية في الهند

بقلم رام تشندرا كوها

يرجع تاريخ نشأة الوعي البيئي في الهند - بادي الرأي - إلى حركة الالتصاق (بالأشجار لمنعها من القطع) التي نشأت في أبريل ١٩٧٢م و فعلا مازالت المناقشة المحتدة مستمرة على المستوى القومي منذ ربع القرن الماضي حول وضع البيئة و مدى جدوى التنميات و التوجهات و الأنظمة الاجتماعية المختلفة - غير أن هناك خلفية تاريخية شيقة لهذه المناقشة العامة رغم أنها باتت مغمورة إلى الآن و يمتد تاريخها إلى ماوراء مائة سنة أو أكثر فقبل أكثر بكثير من حركة الالتصاق أو العناق و كارثة تشرنوبيل اللتان كانتا نقطة تحول في نمو الوعي البيئي و الاهتمام بالبيئة على النطاق الواسع - كان في المجتمع الهندي أناس - رجالا و نساء - يدعون إلى استخدام مقتصد للموارد الطبيعية و كافحوا لدمج إصلاح الوضع البيئي مع العدالة الاجتماعية و قاموا برسم حدود تحليلي لفهم فوارق الاستعمال و إساءة استعمال الطبيعة فهما جيدا

في مدخلنا إلى تاريخ مراحل الفكر البيئي يجب علينا أن نميز بين موجتين في مجال الوعي البيئي، إحداهما عبارة عن فترة الريادة و التكهن و الأخرى هي المرحلة المتأخرة التي تحولت فيها الفكرة العقلية المحضة إلى حركة اجتماعية شعبية كانت الموجة الأولى تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الأولى و أسهم في تطوير التفكير البيئي مجموعتان

متميزتان في تلك الفترة المفكرون الهنود الذين كانوا مرتبطين بالحركة الوطنية؛ و لفيف من الأوربيين المشفقين الذين كانوا يعملون داخل إطار الإدارة الاستعمارية أو خارجه ولكن بعد أن أحرزت الهند الاستقلال السياسي في أغسطس ١٩٤٧م بدأ عصر إغفال المصالح البيئية عندما درجنا على سياسة إهمال الشؤون البيئية و نبذناها وراءنا ظهريا بسبب رغبتنا الجامحة للتقدم و التحري لملاحقة العالم المتطور. و بقي الوضع كذلك حتى مستهل السبعينات عندما ظهرت هذه الهموم للمرة الثانية في شكل حركة اجتماعية واضحة وصريحة و في هذه الموجة الثانية من الوعي البيئي مهدا لأوضاع الدعم الشعبي التلقائي السريع و كانت الفرصة مواتية لبدء مناقشة شعبية مهتمة و مثيرة حول متطلبات و إمكانيات تطور مقتصد و متناسب

و قد حاولنا أن نركز في هذا المقال على إسهامات الأوربيين في توجيه الفكر البيئي في الهند فنبدأ بذكر ديتريس براندیس الذي كان أول مفتش عام للأحراج الهندية و الذي وضع حجر أساس الحراجة الرسمية في الهند. و دام على هذا المنصب لمدة تسع عشرة سنة من ١٨٦٤م الى ١٨٨٣م و كان رجلا ذا نشاط عظيم حيث جاس خلال أنحاء شبه القارة الهندية و جال فيها على نطاق واسع و قام بإعداد تقارير موثوق بها حول الإتجاه الذي ينبغي أن تتجهه الإدارة الحرجية في مختلف أقاليم الهند تحت الحكم البريطاني

قام براندیس بوضع مبادئ الأعمال و الخدمات الحرجية و طرق تطبيقهما في ضوء التقاليد المتبعة في زمانه في مجال التأحيم كما قام بإنشاء كلية لتدريب هيئة الموظفين المساعدين و اتخذ الإجراءات اللازمة ليتم تدريب كبار المسئولين في أوربا و ساعد كذلك في تأسيس معهد البحث الحراجي بمدينة دهرادون

و نحن هنا لسنا مهتمين بالمظاهر العلمية أو الإدارية في ترك براندييس بل نحاول أن نركز على ما عنده من النقاط الاجتماعية في الإدارة الحرجية و نتعرض لمفاهيمه حول المحيط الاجتماعي و السياسي الذي كان للحراجة الرسميه أن تعمل داخل إطاره في الهند و في هذه النقطة بالذات تتميز أراءه بكل جلاء و وضوح عن مواقف جميع مسئولي الحراجة تقريبا سواء أ كانوا أوربيين أو هنودا و سوا كانوا قبله أو بعده فإن هؤلاء المسئولين يوازنون الحراجة بين العلمية تحت رعاية الدولة و بين ما درجت عليه المجتمعات الريفية من الاستخدام المألوف للأحراج حسب نظامهم التقليدي و الذي اعتبروه نوعا شاذا و عشوائيا و متلافا و ضيق الأفق و على هذا المنوال يبرر مسئولو الحراجة سيطرتهم الخاصة على خمس الأرباع من كتلات الأراضي الهندية مدعين بأنهم وحدهم يملكون المهارات التقنية و الكفاءة الإدارية لتدبير شئون الغابات

و نحن نرى كان ديتريش براندييس يلمس إيمانا جازما بأن الحراجة التي هي متواصله الإنتاجية و العطاء يجب أن يعترف بموثوقيتها العلميه و يرد إليها اعتبارها و منزلتها كما كان يعتقد أن من واجب الدولة أن تمثل دورا مركزيا في الإدارة الحرجيه لكنه بكل صراحة لم يكن يشاطر شكية زملاءه في أساس معرفة المجتمعات الريفية لانه على سبيل المثال - كتب بإعجاب و تقدير حول شبكات الخمائل المقدسة المنتشرة في بقاع شبه القارة الهندية و سماها حينا بالنظام التقليدي لصيانة الأحراج و أحيانا عدها نماذج الحراجة الهندية الأهليه" و لمس خلال جولاته في كثير من المقاطعات غابات مكرسة محصونة بغاية من الدقة - على حد قوله - مثلا ما وجد من أيك شجر ديمارا كادوس بمنطقة كورغ في الجنوب و خمائل الأرز الهيكلي بمناطق هيمالايا في الشمال و على صعيد آخر من النطاق الاجتماعي أبدى إعجابه في مقالاته بالأحراج

المحفوظة التي كان يتولى تسييرها الزعماء الهنود و تأثر كثيرا بصفة خاصة بأمراء ولاية راجستان المنحدرين من سلالة راجبوت حيث كانت أحراجهم المخصصة للقنص متوفرة بطبقة النبلاء لممارسة الألعاب فيها كما أنها كانت مصدرا دائما لتزويد الفلاحين بالعلف و الحطب و إلى ذلك كانت صورة الملوك الهنود لدى البريطانيين هي صورة حكام عاجزين و منغمسين في الملذات لكن براندیس أشار إلى أن هؤلاء الراجبوت قد قدموا نموذجا رائعا بتحملهم مشاق صيانة الأدغال في مناخ جاف و قاحل و يجدر بالحكومة البريطانية و مسئولي الحراجة البريطانية أن يحذو حذوهم

كانت الحراجة الهندية في منظور براندیس في مسيس الحاجة إلى شبكة متوازنة من الأحراج الحكوميه المحفوظه جنبا إلى جنب مع نظام الغابات الريفية، حيث يتولى الإدارة الحكومية مسئوليه الغابات البالغة الثرا من الناحية التجارية و المهمة من الوجهه التخطيطية و في الوقت ذاته تشجع الفلاحين على تسيير شئون المناطق الخارجه عن حدود تلك المحفوظات بصفة جماعيه و هكذا حاول براندیس المفتش العام للأحراج الهنديه - من خلال سلسلة من التقارير و المذكرات التي أعدها في فترة تربو على عقد من الزمان - أن يقنع الحكومه الاستعمارية على أن نظاما محكما من الغابات الريفية شرط أساسي لنجاح الحراجه الحكومية نجاحا مستديما

و تم إعداد أول هذه التقارير في ١٨٦٨م و كان يخص إقليم ميسور في الجنوب و كان هذا التقرير عبارة عن وثيقه تحتوي على الحجج البالغة التي تؤيد أرا براندیس و كان من بين الاقتراحات التي قدمها تعيين أحراج ريفية في كافه أنحا إقليم ميسور حيث تتم إدارتها على أساس نظام المناوبة بين المحاصيل فتغلق المناطق الحديثة القطع و يمنع فيها الاحتطاب و الرعي

و بذلك تكون لدى كل قرية غاباتها التي تخصها على نحو مثالي. و في بعض الحالات ربما تدعو الضرورة إلى تشكيل كتلة من الأحراج لتتمكن من استخدامها مجموعة من القرى و توفر هذه الغابات المواد المذكورة أدناه مجانا حطب الوقود للاستهلاك المنزلي. و الفرصة تكون متاحة للفقراء بأن يحتطبوا و يحملوا حزماتها للبيع كذلك، و الخشب للأدوات الزراعية و لصناعة العربات و إصلاحها، و الخشب و الخيزران و العشب للغطاء و تخشيب الأرضية و التسييج كذلك و الأوراق و الأغصان للرعي و التسميد، و يمكن الحصول على الحسب للاستعمال المنزلي و يكون كذلك في متناول يد الحرفيين للاستخدام الصناعي بدفع رسوم زهيدة . و تكون هذه الخدمات متوفرة فيما عدا المناطق المغلقة للانتاج مرة ثانية

و تضمن مشروع برانديس وضع هذه الأحراج تحت نظام إداري متوازٍ حيث يقوم حرّاج كل قرية بتدبير شؤون وحدته، و يتولى مراقب الغابة إشراف كافة غابات القرى في أعمال محافظة ما و بالتالي يشرف رئيس المراقبة الحرجية و تمتد دائرة إختصاصه الى المحافظة كلها و يكون مسئولا أمام مساعد المراقب العام للأحراج

و كان يتوقع أن هذا النظام سوف يغطي نفقاته من غير حاجه إلى عون خارجي و يتم استخدام ما زاد عنها في برامج التطوير المحلي . و بهذه الطريقة يبدأ الفلاحون يلمسون بضرورة الاهتمام بصيانة و تحسين حالة أحراجهم و كان برانديس يأمل . كذلك . أن تنظيم مصلحة الأحراج للغابات الرسمية سوف يفسح مجال الفرص . مع مر الأيام . إلى أن يتهيأ أشخاص ممتازون من كل قرية ليتولوا مسئولية إدارة أحراجهم

قدم براندیس تقريره إلى الحكومة الهندية بملاحظة هامة بأنه يتضمن الأولى من سلسلة من الخطوات التي يقترحها بشأن الأقاليم المختلفة و أنه يشتمل على بيان أنسب طرق إستعمال و تحسين وضع الأراضي القاحلة الواسعة التي هي خارجة عن حدود الغابات الحكومية، و كان هذا التقرير مقدمة لاقتراحه بوضع نظام للأحراج الاجتماعية على النطاق القومي لكن للأسف الشديد كان المسئولون الإنكليز في حكومة الهند الاستعمارية ينقصهم إستيعاب أهمية المنتجات البرية في الإقتصاد الريفي في الهند و اتكال الحياة الزراعية على منتجات الغابات إتكالا أساسيا و مطلقا و كانت تنقصهم كذلك الثقة بموثوقية المعرفة المحلية و روح المبادرة المحلية على السوا و لذلك لم تلق مقترحاته أذهانا واعية و آذانا صاغية و ذهبت أدراج الرياح لكن براندیس لم يتراجع و لم يستسلم بل استمر في مناشدة الحكومة بإنشاء الأحراج الريفية بقوة و اقتناع و دام في كفاحه خلال العقدين السابع و الثامن من القرن الثامن من عشر الميلادي و مع ذلك لم تتكلل جهوده بالنجاح حيث أن مسئولي الإدارة الهندية البريطانيين كانوا يزدرون الفلاحين الهنود و عندما اتخذت الحكومة قانون الغابات الهندية في ١٨٧٨م أهملت فيه مقترحات براندیس و غلبت آرا المسئولين الإنكليز و تجسدت في صورة هذا القانون المشهور، و تمت صياغته على أساس النظرية القائلة بأنه يجب على الدولة وحدها أن تتكفل السيطرة على المناطق الحرجية و تمتلكها

لكن الحراجي الألماني براندیس كان رجلا مثابرا بصفة ملحوظة فقد لاحظ بعد أن تخلى عن منصب المفتش العام أن الحراجة النظامية مثل نبتة لحسبية و يجب أن يكون الهدف تطبيعها و أنه يمكن إنجاز خطة التطبيع على الجانب الاجتماعي بتشجيع الزعماء المحليين و كبار الإقطاعيين كما يمكن

كذلك حث المجتمعات الريفية على أن تقوم بتطوير و حمايه الاحراج لاستعمالها الخاص و الح براندس ان من واجب الحكومة ان تقوم بالمبادرة في المرحلة الأخيرة و أن نظام الأحراج الاجتماعيه الناجح سوف يضمن ارباحا باهظة للحكومة، و كتب اذا تم تدبير شئون هذه الاحراج على الوجه المطلوب فإنها لا تكون مجرد مصدر دائم لتغطية حاجيات الناس من الحطب و العلف - بدون أن تتحمل الحكومة لذلك تكلفة مالية - فحسب بل إنها تسهم في تطوير مؤسسات البلدية و إدارة الحكم الذاتي المحلي

و بعد تقاعده و عودته إلى ألمانيا، استأنف براندس الكتابة حول موضوع الاحراج الاجتماعية في سنه ١٨٩٧م و رغم انه كان قطع كافة أنواع الاتصالات الرسميه مع الهند الخاضعة للاستعمار البريطاني. فانه لم يزل يولي الموضوع اهتماما عميقا و كان يرى أنه يجب على الحراجة الهنديه ان تخلع عنها صفة كونها غرسة لجنبية او مؤسسه يتم تعزيزها بطرق اصطناعية متكلفه و كان اهتمامه بالموضوع متساوقا مع رؤيته الديموقراطية الواسعة حول الحراجه في شبه القارة الهندية و بنا على هذا اقترح ان يبعث لنا التربه من مسئولي الحراجة الهندية إلى ألمانيا لدراسة نظام الحراجه النافذ المعمول هناك و يلاحظ انه لم تغرب عن ذهنه اهميه تربيتهم في المجال الاجتماعي و التاجيمي، و اختتم مقالته بقوله انه إذا تم إرسال الحراجيين الهنود إلى ألمانيا فإنهم سوف يجدون أن القرى التي لها أحراج اجتماعيه هي ذات رخا و ثرا و لو انها - بين لاخر - تشتكي من التهديدات التي لا مندوحة عن فرصها إذا كان نظام الإدارة جيدا و ما سيتعلم مسئولو الحراجة الهنديه بهذا الصدد في ألمانيا سوف يكون ذا فائدة حقيقية و عظيمه لهم في الهند

و لعل برانديس - في هذه المرحلة الاخيرة - يئس من أن يأخذ المسئولون البريطانيون في الهند مقترحاته بعين الاعتبار و الجد بشأن إنشا الأحراج

الريـمـيـة و من ثـم لـجا إلى هذه الطريقة عبر المباشرة و ذلك لن الحراجيين الـهنود الذين يتم تدريبهم في أوربا ربما يدركون بالطريقة الفصلي فوائد الأحراج الاجتـماعية و على كل حال لم يزل المسئولون الهنود ـ سوا هل تم تدريبهم في ألـمانـيـا أولا ـ في أغلب الأحيان يعادون أي اقتراح يطالب بتشجيع المجتمعات الـمحـلـيـه لإدارة شئـون الـمناطق الحرجية و الانتفاع بها و الحقيقه أن هذا الاحـتـكـار الـحـكـومـي و الـلامـبالاة تجاه مطالب المجتمعات الريمية قد جعل مصلحه الغابات هدفا للإنتقاد القاسي في السنوات الأخيرة

لازالـت مـصـلـحـة الـحـراجة الهندية عرضة انتقاد حاد من أجل منهجها الإداري الـمـستبد و التناقض الممتع أن مؤسسها نفسه كان قد تكهن أن الاتكال الـمـطـلـق عـلـى السيطرة الحكوميه و مناهج الإدارة التأديبية سوف يؤديان إلى الاسـتـيـا الـشعبي و نفور الجماهير بينما مصطلحات الحراجة الاجتماعية و الحراجة الطائفية و الإدارة الحرجية المشتركة لم تنل رواجا قبولا إلا في الأوقـت الأخـيرة ـ إلا أن أول رئيس للإدارة الحرجية في الهند كان يعترف بالمبادى الـتـي تـتـضـمـنـهـا و الـمـعـاني التي تحتوي عليها عن اقتناع و يقين بل كان من المعجبين بها و المتحمسين لها

و المؤسس الآخر داخل إطار الإدارة الاستعمارية كان العالم الزراعي البرت هـوارد الـذي تـم دراسـتـه في المواد الزراعية بجامعة كمبردج، و اشتغل في باربادوس لـمـدة يسيرة و انضم إلى معهد البحث الزراعي ببوسا في ولاية بيهار سـنـه ١٩٠٥م و كانت زوجته غابريلا كذلك حائزة على شهادة الاختصاص في علم النبات من جامعه كيمبردج و وقف الإثنان نفسيهما لفهم نظام الحراثة الهندية و تـحـسـين وضعها و كان أول بحثه في القمح حيث قام بتطوير عدة أضرب منه، و عـم اسـتـعـمـالـهـا فيما بعد في شمالي للهند على نطاق واسع كما قام بإجرا

تجارب علمية على التبغ و الثمار و أعشاب العلف، و كان هو وارد يرى الزراعه من منظور بيئي بصفة أساسية و لذلك كان شديد الانتقاد للزراعة الحديثة التي استمدت المواد المعدنية من التربه في بحثها عن العائدات السريعه و كان اهتمامه منصبا على تهوية التربة بصفة خاصه فقد استكشف أن الما المفرط يضر بالنبتة مثل ما تضرها قلته و أن الأسمدة الكيمياسة و الري بلا مبالاة كلا هما يؤثران سلبا على نمو الغريسة بحرمانها من الهواء

و بعد أن فقد هو وارد ثقته بطرق البحث المحراة التي كان ينتهجها النظام الاستعماري انتقل إلى مدينة اندور عاصمة ولايه هولكار و قام هناك بتأسيس معهد للصناعة الغريسيه الذي ركز عنايته على تطوير بديل عضوي للسماد الكيميائي و توصل إلى تطوير منهج جديد لانتاج السماد باستعمال نفايات الخضراوات بزراعه و نكا و هو مورد هام جدا رغم قلة استخدامه و أطلق على المنهج منهج إندور المريج و بعد عودته الى الى انكلتره اصبح داعيه مروجا للزراعة العضويه التي لا تتكل على الأسمدة الكيمياسه و في الايام الحاليه صادف ان اطلعت على كتيب نشر في ١٩٨٤م في الولايات المتحدة حول الزراعة بالطرق المقتصدة و المتناسبه و قد صدره المؤلف بإهدا ه الى السرب هو وارد و لكنه يبدو نسيا منسيا في الهند مع انها البلاد التي أنجز فيها أروع ابحاثه العلمية

و قد حاول هو وارد أن يبرهن في رائعته ميثاق زراعي على أن خصب الأرض اهم ما يمتلكه النوع البشري و ان مستقبل الحضارة سيتوقف على كيفية تعاملنا معه و أن تسميم التراب بالمواد الكيمياسة كانت كارثة حقيقية كبرى و قد بين هو وارد في هذا الكتاب كيف يجب على العلما أن يتعلموا احترام الطبيعة و استوحى من الطبيعة دروسا في الزراعة على الأسس الطبيعية و استخلصها على النحو التالي

ثقافة الهند

إن لهنا الأرض لا يسمح أبدا أن تزرع بصرف النظر عن الدواب فيها سبعة عدة محاصيل متنوعة تبذل جهود عظيمة لصيانة التربة و وقايتها من التآكل و تتحول الخضار المتنوعة و فضلات الحيوانات إلى السماد فلا يكون هناك فساد و لا تلف و توازن عمليات النمو و عمليات الإنحلال بعضها بعضا و تتخذ تدابير وافرة لصيانة إحتياطي الخصب الواسع و تركز العناية الكبيرة لتخزين مياه المطر و تترك الفرائس و الحيوانات كلا منها لحماية نفسها من الأدوا

و بعبارة اللغة البيئية الحديثة إن شعار الزراعة المتناسبة هو التنوع و اعادة الدورة و الصيانة و كبح الحشرات المؤذية بالوسائل الاحيائية و كان هووارد دائم الاحترام لذكا الفلاحين و قلما يلقى ذلك لدى علما الزراعة و قد لاحظت روجته الثانية و مترجمة حياته لويس اي هووارد كان هووارد يعترف مستندا بذكا الفلاحين و ربما وصف الظاهرة بحكمة الفلاحين و كان يقول عن الزراعة الهندية إنهم أساتذته و كان كذلك بالغ الاحترام الفلاحين الصينيين لاستعمالهم من السماد السري بطريقة رائعة بينما الهنود اعرضوا و رجعوا عن هذه التجربة مستحوذين بالحساسية الطبيعة و التجارب التي قام بها هو وارد في مدينة اندور قدمت إلى دنيا العلم مرة ثانية الفكرة الصينية المميزة بأن كافة أنواع المحصولات و النفايات يجب أن تعاد إلى التراب عن طريق عمليات التناسب المتواصلة و أكد على ضرورة المشاركة بين العلما و الفلاحين في الصفحات الأخيرة من كتابه "الميثاق الزراعي" و كتب إن طريقة تناول المشاكل الزراعية يجب أن تكون منطلقة من الحقل إلى المختبر و ليس العكس و مجرد اكتشاف الأشيا المهمة يعتبر إحراز ثلاثة أرباع المعركة و بهذا الصدد يمكن القول بأن الفلاحين و العمال اليقظين الذين قضوا حياتهم

في اتصال مباشر مع الطبيعة يستطيعون ان يكونوا مصدر عون اكبر للباحثين ولذلك تعتبر آراء الفلاحين جديرة بالاحترام في كافة دول العالم و هناك دائما اسباب معقوله لجميع الممارسات التي يقومون بها لانهم لايزالون يعتبرون وحدهم روادا في كثير من الاسيا مثلا الزراعه المختلطه للمحاصل المتنوعه و الرابطة مع الفلاحين و العمال سوف تساعد البحث العلمي على الإقلاع عن جميع مفاهيم الحسمة الزائفه و يجب على كافة المشاركين في العمل على الارض و المشتغلين في العمل فيها ان يعتبروا انفسهم اخوة حراس على السواء و الشيء الوحيد الذي يميز الباحث من الفلاح في المستقبل انما هو وسيلة العلم و التجربة الواسعة التي يكتسبها من خلال الرحلات

نبدأ الحديث الان عن باطريك غيدس الاسكتلندي ولد غيدس في ١٨٥٤م و كان تلميذ وليام موريس و يوحنا رسكين و يحظى الاخير بتقدير و اعتراف في وطنه و يعتبر رائد التخطيط البيئي للمدن و كان لغيديس تأثير عميق في تلاميذه بمدينة لندن و ايدنبرغ بصفته أستاذا لعلم النبات و خبيرا متحمسا بتخطيط المدن و يرجع سبب هذا التاثير بدليبا إلى قوة عارضته و اقناعه و قوة الدعوة و كانت كتاباته كذلك ذات مفعول خاص و لو انه اقل حظا - نسبيا - و كان غيديس ذا إتجاه دولي لا يهدأ حماسه و كان دوليا في التماس الأصدقا و المعاصرين و المشاركين في حمل اهتمامه اينما وجدوا في العالم بدات عنايته بالهند نتيجة لما ه بالصفه مع المتنسكه الهندوكية الايرلنديه سسترنيفيدي دينا في باريس و توثقت أواصر الصداقه بينهما و رغم انها ماتت فجاءة في أوكتوبر ٦ ١٩م فان ذكراها و إمكانيه العثور على الاتباع حدثته الى بلاد الهند و بعد ان انتهى غيديس من تأليف كتابه تطور المدن اعتزم الزيارة إلى شبه القارة الهندية مباشرة و كان يأمل ان يطوف في مدن الحاضرة للحكم البريطاني بمعرضه الذي قام بتأليفه بدقة فائقة حول التاريخ المدني

وصل غيديس إلى مدراس في خريف عام ١٩١٤م و الصناديق التي تضمنت على معرض تخطيط المدن و البلدان كانت مشحونة في سفينة أخرى، و شاءت الأقدار أمرا آخر حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى و استهدفتها مدمرة ألمانية و أصابت و غرقت السفينة في المحيط الهندي و بذلك تلاشت نتائج الجهود التي استغرقت نصف حياته في أحشاء المحيط و بقي غيديس في الهند مشردا دونما معرض يعتمده لكن الغريب أنه غير إرادته إلى تحضير مادة أخرى لدراسة نهضة المدن و البلدان الهندية و أسباب نحولها و انحطاطها و أقام في الهند حوالي عشرة أعوام و كان في بداية أمره يعمل مصمما مستقلا للمدن ثم اشتغل كأول أستاذ لعلوم الاجتماع و التربية المدنية بجامعة بومباي جال غيديس في شبه القارة الهندية على نطاق واسع و تفاعل عن كثب مع طبقات الناس المختلفة و التقى مرتين بالمهاتما غاندي و تعرف على أنني بيسانت و تصادق مع المفكر و الشاعر البنغالي رابندرانات طاغور و جاغديش تشندرا بوس و قام بإعداد خطط خمسين مدينة تقريبا خلال سنوات إقامته في الهند و كانت بعض هذه المشاريع بتفويض من الأمراء المحليين و أخرى بتكليف من الإدارة الاستعمارية و من بين المدن التي دون آراءه حول تخطيطها هي دكا في الشرق و أحمد آباد في الغرب و لاهور في الشمال و تنجا فور في الجنوب و قام بنشرها مطابع مغمورة بأعداد محدودة، و هي الآن غير متيسرة في الأسواق اللهم إلا بعض النسخ المودعة في مكتبات إسكتلنده و خطط غيديس للمدن الهندية تستحق للبحث و إعادة النظر فيها من جديد، لأنها شتان ما بينها و بين التقارير الفنية المملة و ميزتها الغريبة التي اتصفت بها هي أنها موشحة بالملاحظات الظريفة و بذلك تظهر فلسفته أحيانا في أماكن هي ليست مظانها البتة

و تجلت وجهته البيئية العملية في تقاريره حول تخطيط المدن و ضمنها توصياته المتماسكة بشأن توفير الأماكن الفارغة للاستجمام و غرس الأشجار و حمايتها خاصة حول الأماكن المقدسة و توفير للقدر الكافي من الماء النقي و أبدى إعجابه بما رأى في الهند من الطرق الضيقة و أفنية المنازل الفسيحة بالأشجار المورقة، و انتقد النزعة الحديثة التي تستحسن تصميم الطرق الواسعة المغبرة و كان يرى أن ذلك لا يساعد إلا في تسهيل مرور السيارات و رياضتها و تثير الغبار و التلوث الأمر الذي كان يمقته مقتا شديدا و أكد على ضرورة حفظ الصهاريج و الخزانات و صيانتها كما حث على اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة ضد الفيضانات بعد هطول الأمطار الغزيرة و لاحظ أنه تترتب على هذا تأثير إيجابي مفيد للمناخ و يكون بطبيعة الحال مصدرا مضمونا لمؤنة الماء و هزأ غيديس بمخاوف المهندسين الصحيين بأن تلك الخزانات المائية ربما تشكل مخاطر الملاريا قائلا بأنه يمكن اختزان الماء بسهولة باقتناء قدر كاف من الأسماك و البطات لقمع بعوضة الملاريا و بعد أن حج من زيارة مدينة ناسك التي تقع على مسافة ثلاثين ميلا شمالا من بومباي دعى إلى صيانة الآبار لأنها الذخائر المتواجدة من قوت للماء و لاحظ ببصيرة نافذة أن كافة شبكات تزويد الماء تتعطل أحيانا و هي دوما عرضة لكثير من الحوادث و الأضرار المحتملة و نحن ورثنا في صورة هذه الآبار حكمة قديمة لتأمين واقعي للحياة و لا يمكن سدها بأي حال من الأحوال من أجل فوائدها الجمة و عبر عن رؤيته البيئية الدقيقة الشاملة ببراعة في الاقتباس الآتي و هي كلمات جديرة بأن تكتب على جدران مكاتب القائمين بأعمال التخطيط المدني في مدينة تشيناي و حيدر آباد و عدد من المدن الهندية الأخرى يقول إن مشاكل البلديات و مهندسيها لا تعدو عن كونها مثلا إزالة مياه المجاري

او الاكتظاظ حينا و تزويد المياه الصافيه و وسائل الاتصال او قضايا الإسكان المدني احيانا و اخرى مشكلة الامتداد السكني إلى الضواحي لكن مشكلتنا نحن المخططين تتجاوز الى ابعد من هذا و ذاك جميعا حيث تحتم علينا المسئوليه ان نستفيد من كافة هذه الاختصاصات على احسن وجه و وجهتنا تختلف عن موقف المتخصص الذي ينكب على عمله للبلوغ الى حد الكمال في دائرة اختصاصه مهما كانت النفقات و مهما سبب من التأخير الناتج عن ذلك و إنما موقفنا اشبه ما يكون بالمزارع او ربة البيت او القهرمان الذي يستغل ميزانيه المحدودة بدقه و لا يضحي بالموارد التي من شانها ان تكفي للصالح العام امعانا في إنماء مصلحه جزئيه ما

لقد كان باتريك غيديس - من بين جميع المخططين - شديد الميل الى المسا كه و التعامل كما اشار إلى ذلك في تقريره الضافي حول مدينة اندور و يحتوي على مجلدين و قد بذل في اعداده مجهودات جبارة حيث تقول فيه

كما انه يجب على الطبيب ان يقوم بتشخيص الدا قبل ان يصف العلاج للمريض فكذلك الحال مع مخطط المدينة إنه يمعن النظر عن كثب في اوضاع المدينة كما هي و يتساءل كيف تطورت و كيف الت إلى ما الت إليها من معاناة، و كما ان الطبيب يربط المريض في عملية معالجة نفسه فكذلك يجب على على المخطط ان يناشد المواطن و يحتكم إليه و لذلك يسعى لمن يقوم بدراسة هذا التقرير حول اندور ان يطوف في المدينه مباشرة، و ينظر إلى الأشياء بأم عينيه لانه إذا كانت عنده هذه الخطة كدليل جزي فإنه يستطيع ان يحقق و يمحص و يطيل التشخيص و ربما يتمكن من إسراع المداواة8"

كان غيديس على وعي تام بحقيقه ان المدن الحديثة تمتاز بخصيصة استراع الموارد و لذلك توخى التوفيق بين تيارى الحياة المدنية و الحياة الريفية

فلاحظ انه يمكن تمهيد طريق العودة إلى الطبيعة عن طريق غرس الأشجار و صيانة المياه لأن ذلك من اللوازم الأساسية الت يتضمنها كل مشروع واف و تتحقق هذه العودة بثمارها اليانعة الحية من الهوا النقي و الما الصافي و المحيط الريفي النظيف و بعبارة روسكين تتوسع الحقول فتتخلى على الشوارع بدل أن تتحكم هي على حساب الحقول و كان يجب على العوده إلى رخا الحياة الريفيه بجمال محيطها و اتصالها المباشر بالطبيعه و لكي يجب أن تكون طريق الرحمة لو لنيا لا يتبع آثار الخطى و لا نتبع الخطوط المرسومة و بكل صراحة يجب أن نرجع - في نفس الوقت - بميزات الحياة المدنية و ندمجها في البيئة الريفية و لعب تلميذه المعروف غيديس إنتباه مخططي المدن إلى المصالح للريفية من مشاعر الاحترام للأرض و للعمليات الزراعيه و صبر الفلاحين و الشعور بأن النمو النظامي اهم من حفظ النظام على حساب النمو (و يماس على هذا النمو على حساب النظام كذلك)

كانت للسمة المميزة في منهج تفكير غيديس تقديره و احترامه للقيم المادية و الروحية للتي القاها في التراث المحلي و تموره الشديد و ممانعته الشديدة عن للتخلي عن أدنى ما يمت الى التراث بصلة و أعجب بكثير من الخصائص التقليدية في التصميم المدني لدى الهنود و تبناها و استنفاها و بعد زيارته لبنارس تلك المدينة الدينية الرائعة - على حد قوله - سجل إنطباعه بأسلوب عاطفي حول ما لاحظ هناك من احترام للطبيعة و الحياة و عبر عن إعجابه بالهندسة التقليدية و براعه تخطيط المدن الهيكلية بجنوبي الهند في الرسائل التي كتبها إلى عائلته و كانت هذه المدن - بمنظوره - صورة و تجسيدا لروح الأمل و حافزا على النمو و التقدم و الهة الهنادك التي يسميها كثير من السذج أوثانا، هي في الحقيقة ملاجئ الحيوية و روح التطور و هي بالنظر إلى

جوانبها الكثيرة ـ و ليس كلها ـ رموز تعبر عن أقصى ما وصل إليها الإدراك البشري في تخييل الحيوية و الإشراق

إن باطريك غيديس مكنون في ضمير التاريخ و ينتظر لأن يكتشفه جيلنا من جديد و نقوم بإبراز دوره و تفسير آراءه من جديد و على الجملة ربما نضطر علماء البيئة الهنود الى أن يعلنوا عن سخطهم الساخط لطريقة الحياة المدنية الصناعية و يتنازلوا عن موقفهم و يتوصلوا إلى التفاهم بحقيقة أن هذه البلاد سوف تصبح أكبر بلدان العالم من حيث عدد سكان المدن حوالي سنة ٢٠٢٠م ـ و قد جربنا عواقب هذا التمدين العشوائي السريع و ذقنا ويلاته من التلوث المتفاقم و الاكتظاظ و الأمراض الناشئة عنه و نقص المياه و الإسكان الوافي بالضرورة و ضآلة خدمات الصحة العامة، و نظام النقل الذي هو في غاية العجز عن تغطية الحاجة من ناحية صيانة الطاقة و من الناحية البيئية كذلك إن علماء البيئة الهنود يستطيعون أن يستفيدوا كثيرا من أعمال باطريك غيديس في معالجة هذه المشاكل و في جعل المدن الهندية صالحة للسكنى

و رابع نماذجي هو الإنجليزي المتطرف و الثائر فيرير ايلوين (١٩٦٤ ـ ١٩٠٢م) الذي اشتهر بأعماله التي استلفت بها أنظار الشعب الهندي إلى الثروة الكامنة في ثقافة القبائل الهندية (أدي واسي) و كان قد ذهب إلى الغابة بدون تذكرة العودة ـ على حد قوله ـ و عاش هناك بين ظهراني القبائل خمسا و عشرين سنة ألف خلالها خمسا و عشرين كتابا رائعا حول تلك القبائل، قدم كذلك إسهامات مميزة في الأفكار البيئية خلال إنجاز هذه المهمة ـ و كان ايلوين رائد علم الإنسان من الوجهة البيئية و كثير من أعماله العلمية تسلط الأضواء ببراعة على العلاقة العميقة الأساسية بين عالم الغابة و واقع حياة القبليين و حاول أن يبرهن على أن كافة القبليين يمتازون بمعرفة عميقة للنباتات البرية

و الـحـيـوانات الوحشية حتى ان بعضهم يستطيعون ان يقرئوا كتاب الطبيعه العظيم مثل ما يقرا الكتاب المفتوح و يعتقد المزارعون ان الحدود المرسومة بين الـغـابـة و الـمـزرعـة غـير واضحة المعالم و ان لهم رابطة خاصة مع عالم الـطبيعة و يحلو لهم ان يعتبروا انفسهم أولاد الارض الام التي تطعمهم و تحنو عليهم و تحبهم

و مـؤلـفـات ايلـوين فـي عـلـم الأعراق البشرية زاخرة بذكر حب القبليين لـلـغـابـة لكن القوانين التي اتخذتها الحكومة الإنكليزيه بشان الغابات و الالعاب جـعـلـتـهم منطلين في عقر دارهم بصورة مأساويه و استشهد ايلوين المنصلع في علم الانسان برجل من قبيله "غوند" و قد اعرب عن تصوره للحبه قائلا بان الجـنـة عـنـده عـبـارة عن الـغـابـة الـممتدة على مساحة اميال متلاحمة بدون الـحـراس و كـتـب في ١٩٤١م ان قرار الحكومة بحفظ الغابات كان كارثة كبرى لـلـمـجـتـمـع الـقبيلي حيث منعوا من ممارسه طرق الحراثة التقليديه و امروا بـالـمكث في القرى الخاصة بدل التجوال و الترحال من مكان إلى مكان و اصبح أصـحـاب الـمـواشـي فـي قـلـق مـتـواصـل مخافة ان تتخطى الحدود و تحملهم مـسـئـولـيـن بدفع غرامات باهظة و كان على الذين يسكنون في القرى المجاورة لـلاحـراج ان يـسـتـعـدوا للعمل لمصلحه الأحراج كلما أمروا بذلك و الذين سكنوا فـي مـكـان اخر أرغموا على ان يطلبوا التراخيص الحكومية قبل الـحـصـول على اي شـيء من مـواد الإنتاج الحرجي، و باتت القوانين الحرجيه تقطع حياتهم في كـل مـنـعـطف و كان لهذه القوانين مفعول ابعد من ذلك حيث انها حددت مجال حـريـتـهم و ثبطت همتهم و دمرت ثقتهم بانفسهم تم تسجيل ٢٧ حالة اساءة ضـد القوانين الحرجية في سنة ٢٤ ـ ١٩٢٣م في الإقليم المركزي و منطقة برار و حـدهـمـا، و عشرة اضعافها حرب بدون ان تنتهي فيها الإجراءات الفعلية و من

للواضح أن مثل هذا العدد الهائل من الإساءات و الخروق لم يكن ليحدث إلا إذا كانت القوانين الحرجية مضادة للحوائج الأساسية في حياة القبيليين. و قد قال لي مسئول حرجي مرة: إن ميزة قوانينا الحرجية هي أن كل قروي ينتهك قانونا ما في كل يوم من حياته.

و كانت كتابات ايلوين موجهة إلى الدولة الاستعمارية و إلى اعضاء حزب المؤتمر القوميين - على السواء - الذين كانوا حكومة في انتظار خلال الأربعينات. غير أن حزب المؤتمر لم يكن يبدي كبير اهتمام تجاه حقوق القبيليين. و لكن ايلوين ذكرهم بأن الأرومين - القبيليين - هم الهنود الأهليون حقا و كل شيء خارجي أو اجنبي بالمقارنة بهم. و هم الشعب الأقدم و دعاويهم الأخلاقية و حقوقهم لا تجحد لأنها ثابتة على أساس التاريخ الممتد على مدة آلاف السنوات. و لأنهم كانوا أول من كانوا هنا في هذه الأرض. و لذلك يستحقون أن يكونوا في المرتبة الأولى في اعتبارنا كذلك. و شعر بكرب متزايد عندما اطلع على أن تقرير حزب المؤتمر بشأن القبيليين حذا حذو السلطات البريطانية في مطالبته الحظر على الحراثة المتنقلة. و قد أظهرت الآن دراسات ايلوين أن نظام الحراثة الذي كانت تمارسه سوويديين و بايجا و جوانج و القبائل الأخرى كان نظاما قابلا للنمو و التطبيق من الناحية البيئية، و هذا يتكفل بدحض الدعاوى المتحيزة الحديثة ضد جدوى النظام القبيلي. و حينما قدم القوميون توصيتهم لفرض الحظر على نظام الحراثة التقليدية كتب ايلوين بغضب: إن الغابات للأرومين. و لقد كنت أظن أن أقل ما يرجى من المتحمسين للفكرة القومية هو أنهم سوف يعيدون الحرية للأرومين.

إن الموضوع المحوري في دراسات ايلوين هو أهمية الغابات في الحياة القبيلية. و طالب الحكومة الهندية المستقلة بإشراك القبيليين بنسبة زائدة في

الإدارة الحرجية بملاحظة أن غالبية الثورات القبيلية تتمركز حول القضايا المتعلقة بالأرض و الغابة و بالرغم من أن الاوروبيين الهنود ليس لديهم حق شرعي يثبت ملكيتهم للأرض فإنهم لا يعدمون الحقوق الخلقية الجديرة بالاعتبار و بما أن القبيليين جزء من الثروة القومية مثل الغابات أو أجل شأنا منها ـ يجب أن تكون هناك تسوية سلمية و تكييف ودي بين الإدارة الحرجية و الحوائج القبيلية و إذا دعت الحاجة إلى القيام بعمليات التجارة الحرجيه يجب أن تتولاها الجمعيات التعاونية القبيلية بدل أصحاب النفوذ من المقاولين الخصوصين

قام فيرير ايلوين بمهام منصب رئيس لجنة قومية رفيعة المستوى لوضع السياسات الاساسية بشأن القبيليين لأكثر من مرة خلال الفترة التي اشتغل فيها موظفا في الحكومة الهندية و ظل ايلوين يحث الحكومة مرة بعد أخرى على إعادة النظر في السياسة الحرجية حتى تتم صياغتها بحيث تؤول في غايه أمرها إلى الوفا بالحوائج القبيلية و دأب على هذا منذ أول توظيفه الرسمي إلى أن وافاه الأجل قبل أوانه في ١٩٦٤م و لم تتكلل جهوده بالنجاح و تلك الإدارة الحرجية كانت أصبحت تجارية الإتجاه بصفة زائدة بعد استقلال البلاد و في أيام حياته الاخيرة كتب على أساس خبرته بعلم الإنسان ـ بنوع من المرارة ـ و عبر عن أسفه على أن ضحايا السياسة الحكومية يتهمون ـ ظلما ـ بإبادة الغابات يقول

هناك دعاية متواصلة بأن القبيليين يدمرون الأحراج و لكن لما طرح هذا السؤال على بعض القرويين عارضوا هذه الدعاية بالشكوى المماثلة قائلين بأنه كيف يتأتى لهم تدمير الأحراج و ليست عندهم شاحنات حتى إنهم غالبا ما لا يملكون عربات الثيران و أقصى ما يستطيعون فعله هو حمل أثقال الإنتاج

الحرجي على كواهلهم و بيعها في الاسواق لإعالة أسرهم، و غاية الأمر أن ذلك لا يمكن الا بعد الحصول على الترخيص الرسمي و غاية ما يطلبونه هو الحطب للتدفئة في اشهر الشتاء أو الخشب لإعادة بناء أكواخهم أو تجديدها و مواصلة صناعات أكواخهم الصغيرة، و قالوا إنهم لا يحتاجون الى قدر كبير من الوقود لتسديد حاجة مطابخهم لقلة ذات يدهم و عدم ما يمتلكون للطبخ و بعد تبيان وضعهم بدا الحديث عن الإبادة الحرجية التي تحدث حولهم على نطاق واسع و اتسعت في ذلك كلمتهم و سأل هؤلاء القرويون بأي حق دمر الإقطاعيون بقاعا واسعة من الأراضي الحرجية و لوائحها كما انهم ذكروا أن المقاولين يتخطون حدود الإتفاقية فيتركون السيارات الكوبيه الضيقة في جانب و يحملون الأثقال في الشاحنات بأقدار زائدة عن السعة المرخصة بها و بطريقة اخرى يستغلون الغابة و القبليين كليهما معا و هناك اعتقاد سائد في المجتمع القبلي بأن كافة الحجج التي تقدم لتأييد صيانة الأحراج و تطويرها إنما تهدف إلى منعهم من مطالبهم، و لدعم موقفهم يحتجون بأنه إذا كانت المسألة تتعلق بالصناعة أو بالشئون البلدية أو أشغال التطوير أو مشاريع الإصلاح و إعادة التأهيل ففي جميع هذه الحجج المعقولة تنسى و تنبذ و توضع مناطق واسعة في مصرف الدخلاء الذين يبيدون الثروة الحرجية بقسوة سوا اقتضت الحاجة ذلك أولا

و نتقدم خطوة أخرى لبدأ الحديث عن مادلين سلاد التي كانت إبنته لضمير البحر الذي زار غاندي في منزله و التحق به في ١٩٢٦م و سماها غاندي و سماها ميرا بهن - الأخت ميرا - و كان لها شأن في تمثيل دورها في مقاومة الاستعمار و اعتقلت عدة مرات من أجل ذلك

قامت ميرا بهن بتأسيس ملاذ للملاحين بقرب مدينة هري دوار المقدسة في ١٩٤٥م و ستتين إنتقلت - على طول مجرى نهر الكنج - إلى المنطقة الواقعة

في عوالي مدينة ريس كيش حيث يتحدر النهر إلى السهول و في سنه ١٩٥٢م حولت قاعدتها مرة ثانية و انتقلت إلى وادي بهلمنا الذي يقع داخل سلسله جبال هيمالايا، و أقامت هناك إلى ١٩٥٩م حين إضطرتها حالة صحتها المتدهورة ـ و ربما الاستياء كذلك سياسات حكومة الهند المستقلة ـ إلى الهجرة إلى نمسا

لاعرو ان فلاحي المناطق المتوسطة في سلسلة جبال هيمالايا عالة على الانتاج الحرجي شان القبليين القاطنين في وسط الهند ـ الذين عمل معهم فيرير ايلوين و عاشرهم طويلا ـ و كانت النتيجة المنطقيه لحسابات مصلحة الاحراج الخاطئة انها بدات عملية تدريجية لاستبدال البلوط ـ الشجرة التي يعتبرها سكان الارياف ذات قيمة عالية لكونها مصدر الوقود و العلف و السماد الورقي ـ بشجرة صنوبر و لها قيمة تجارية كبيرة لانها مصدر للخشب و الراتينج و كانت لهذه النقلة اثار بعيدة المدى لانها تضمنت دلالات بيئيه خطيرة، و ذلك لان الفروة التحتية الكثيمة التي هي خصيصه غابات البلوط تتشرب نسبة كبيرة من مياه الأمطار الموسمية الهاطلة في مناطق هيمالايا ثم تتقطر هذه المياه إلى السفوح ببطء و من ثم كانت توجد تحت غابات البلوط الينابيع العذبة الباردة الجميلة التي كانت مصدرا رئيسيا لماء الشرب لدى سكان الهضاب و بمقابل ذلك صورة متباينه تماما فإن أرضية غابات الصنوبر تكون مغطاة بغشا رقيق من الأوراق الإبرية و طبعا قدرتها على امتصاص الماء تكون ضئيلة جدا و جوانب التلال التي يكثر فيها شجر الصنوبر لا تمسك بالما و لا توقفه فتندفع مياه الأمطار في المنحدرات و تجرف معها التراب و الحطام و الصخور و بذلك تسهم في زيادة الفيضانات

لماذا نمحي غابات البلوط في مناطق هيمالايا؟ إذا رجعنا إلى ميرا بيهن للعثور على الأسباب التي أدت بها إلى هذه الغاية وجدنا ان تعليلها لهذه الظاهرة

يكشف عن مدى وعيها و ذكائها الحاد في فهم الأسس الاجتماعية التي تقوم عليها الإدارة الحرجية في السفوح، تقول:

الواقع ليس مجرد ان مصلحة الاحراج تقوم بنشر و غرس شجر الصنوبر بل ان اكبر أسباب إنهاء غابات البلوط هو ان مصلحة الاحراج لا تقوم بتنظيم و ضبط عملية تسبيب البلوط لعلف الماشية على نحو جاد بل إنها مبتهجة جدا من الوجهة المالية و انها إذا انقرضت أشجار البلوط و اخذت مكانها أشجار الصنوبر فسوف تتدفق سوقها التجارى و عندما تصبح البلوط ضعيفا و ضامرا من أجل التشذيب المفرط يجد الصنوبر مكانا لترسيخ المنمين فإذا ما نما و استعلظ و بدا يلقي اوراقه الإبرية على الأرض فإن مصير كافة الأشجار الاخرى هو الإنقراض و لا غير و تستمر ميرا بيهن فتقول لا ينبغي ان نرجع باللائمة إلى القرويين وحدهم لانهم انفسهم يدركون تماما خطورة بيان غابات البلوط و انها إذا انعدمت تموت مواشيهم جوعا و تجف ينابيع الماء و تنمر مياه المصابات المنصبة من أعالي المنحدرات الجبلية حقولهم الأثيرة في بطن الوادى و بالفعل تحدث احيانا جميع هذه البلايا على نطاق واسع و مع ذلك لا يستطيع كل قروى مقاومة نفسه و لا يستطيع ان يستنكف عن تشذيب البلوط في الاحراج الحكومية التي لا تهتم الحكومة بحمايتها و حجتهم واحدة إذا لم اقضب هذه الاشجار فسوف يقضبها احد غيري إذن فلماذا لا ابادر و اقضبها قدرما يمكن قبل مجيء احد آخر

و رغم ان ميرا بيهن لا تعتبر موقف المجتمع القروى سببا اساسيا في تدهور الوضع البيئي لكن يبدو ان سبب ضيق الافق و قلة التبصر الذي لاحظنا نموذجه آنفا في سلوك فلاحي السفوح يرجع إلى فقدان التنظيم الاجتماعي المشترك حيث يعتمد كل فرد من الفلاحين انه لم يعطه نصيب طويل الأمد في

صيانة إحتياطي الاحراج و اسهم في تفاقم هذه النزعة الاتجاه التجاري الذي اتجهته مصلحة الأحراج - و هل يمكن القيام بشيء يعيد إلى البلوط منزلته الشرعية حتى نتمكن من انعاش البيئة و الحركة الإقتصاديه في مناطق هيمالايا فلنرجع إلى ميرا بيهن مرة ثانية عسى أن نجد عندها حلا المشكلة ليست عصية الحل، لأنه إذا تم تشذيب الأشجار بطريقة نظامية فإنها تستطيع أن تعطي كميه كبيرة من العلف كذلك بدون الضعف و الضمور و في الوقت نفسه إذا استطعنا دفع أشجار الصنوبر المقتحمه الى الإرتفاع الصحيح أي المناطق التي تتراوح إرتفاعها بين ٣ و ٥ قدم و قمنا بإحياء غابات البلوط فإن العبء على الأشجار الموجودة سوف يتناقص سنة بعد سنة و بذلك نوفر كمية العلف فعلا - و لكن لا يتأتى ذلك إلا بكسب ثقة القرويين و تعاونهم لأن مصلحة الاحراج وحدها لا تستطيع إنقاذ الوضع و لا تستطيع كذلك كسب ثقتهم بسهولة لأن علاقاتها مع الفلاحين متوترة جدا حتى بلغت إلى صراع عملي مكشوف في مناطق الصنوبر فلابد من ممارسة نفوذ غير رسمي لإيقاظ ثقة العامه بالنظام

يجب تنظيم لجان قروية بمساعدة من المتطوعين المحليين و كذلك تعيين الحراس القرويين الذين يعملون مع موظفي مصلحة الاحراج الميدانيين كما ينبغي أن يزاد عدد هؤلاء الموظفين و يتم تدريبهم الخصوصي بوجهة نظر جديدة نحو الفلاحين و من المعقولية بمكان أن نقوم بتمهيد مشروع طويل الأمد و متزن للتشذيب المنضبط و إعادة غابات البلوط إلى مكانها الشرعي على نحو تدريجي، و لتباع خطة نظامية لإزالة الصنوبر من الاماكن البالغة في الإرتفاع إلى ٥٥ قدما، حيث تتلوها خطوات صيانة شجيرات البلوط النامية الصغيرة. إن غابات البلوط هي مراكز الدورة الإقتصادية الطبيعيه في

المنحدرات الجنوبية من هيمالايا و إبادتها أشبه ما تكون بقطع القلب و فصله لإماتة الجسد بكامله

ارسلت ميرا بيهن بتقاريرها التي تضمنت نتائج بحثها مع الصور المتعلقة بالموضوع الي رئيس الوزراء جواهر لال نهرو الذي قدمها بدوره إلى المسئولين المعنيين، لكن ذلك لم يرجع بفائدة و يبدو أنه لم يكن من الميسور حمل مصلحة الأحراج الهنديه علي تغيير مجرى سياستها

و رغم أن ميرا بيهن لم تسمع بمبريس برانديس و لم تطلع عليه على الارجح لكنها في الحقيقة كانت تقوم بإحيا كفاحه لدمج المبادئ الديموقراطية في الإدارة الحرجيه كما أنها قامت بتسجيل ملاحظات متميزة حول المشاكل البيئيه في نظام الزراعه الهنديه خلال سنوات إقامتها بشمالي الهند و من هذه المشاكل تجمع المياه و تسربها علي نطاق واسع و يبدو أنها مشكله لا مفر منها في حالات الري بالقنوات و منها حراثة الأراضي التي يستغني تركها لكلا المواشي و قد أثرت هذه الحراثة سلبا في نوعية المواشي و منها تآكل التراب المفرط كذلك و كانت ميرا بيهن تعتقد أن أبرز ميزات الحياة الحديثة هو سرعة التغيير البيئي و الإضطراب و كتبت مقالا نشر في صحيفة هندوستان تايمز اليومية في ٥/ يونيو ١٩٥٠م بينما الحضارات القديمه في افريقيا الشمالية و الشرق الأوسط إنهارت من جراء إساءة إستعمال البيئه الطبيعيه و قد كان الدمار الشامل يستغرق قرونا متطاولة في تلك الزمان و لكن ما كان يستغرق ألف سنه أو اكثر في العصور القديمة يمكن إنجازه في مأة سنه تافهه في العصر الراهن بفضل الماكينات و العلم الحديث

كان هم ميرا بيهن الأساسي ـ على غرار استاذها غاندي ـ هو إصلاح الاقتصاد الريفي في الهند، و مع ذلك لم يكن اهتمامها بالبيئة الطبيعية وسيلتا

مجردا، فكثيرا ما عبرت عن انجذاب روحي مع الطبيعة سراعة شعور مثل الشاعر الإنكليزي المعروف وردزورث و بأسلوب نابع عن التقليد الرومانسي الاوربي، و كان لطلقت على نفسها التابعة المخلصة للأرض الأم البدائية العظيمة كما كتبت في أبريل ١٩٤٩م إن مأساة العصر الحديث هي أن المثقفين و الاثرياء منقطعون تماما عن أساسيات الوجود الحيوية و نمطيتها الأساسية هي أمنا الأرض التي تغذي الحيوانات و الخضراوات و تمدها بأسباب الحياة و الإنسان قد سلب هذا العالم الذي رسمت الطبيعة خصبه و نهبه بقسوة و أفسد نظامه كلما وجد الفرصة متاحة لذلك انه يستطيع أن يربح بعائدات باهظة لوقت ما بفضل علمه و آلته لكن مصيره المحتوم هو الدمار و الخراب، و إذا كنا نريد النماء كجنس معافى جسديا و محترم خلقيا بين الكائنات الحية الاخرى فيجب علينا أولا أن نقوم بدراسة ظاهرة الإتزان الطبيعي و نسعى ثانيا إلى تطوير حياتنا في اطار القوانين الطبيعية

قامت بإتمام المهام - التي أسستها ميرا بيهن في مناطق شمالنا - سيدة انجليزية أخرى سرلا بيهن (كثيرين ماري هيلمين ساهما) التي اتخذت الجنسية الهندية متأثرة بشخصية غاندي فسست سرلا بيهن ملجأ في الثلاثينات قرب مدينة كاوساني في منطقة كوماؤن و كان يقع على هضبة تحيط بها مناظر الثلوج المائلة الجمال و كان ملجأ يركز جهوده بصفة أساسية على تعليم المرأة و استقلالها اقتصاديا و كانت سرلا بيهن أحيانا تضع هذه الأعمال البناءة جانبا للمشاركة العملية في الحركة القومية للإستقلال السياسي فعالت حركة تحرير الهند في ١٩٤٢م بمنطقة كوماؤن و كانت تطوف في القرى و المدن متنقلة من مكان الى مكان و الشرطة تطاردها و أخيرا ألقي القبض عليها و سجنت، و لما أطلق سراحها عادت الى مدرستها و مركزها للتدريب على الحرف

السدوية، و قامت ـ بعد استقلال البلاد ـ بتدريب جيل جديد من أعضاء حركة سروديا رجالا و نسا ، كان من بينهم سنادي برشاد بهت و سندرلال باهوغنا و هما اللذان قاما بإنشا حركة الالتصاق بالأشجار (لمنعها من القطع و التشذيب) و تزعماها في السبعينات و قد طار صيتها الآن في العالم و عرفها القاصي و الداني. و شاركت سرلا بيهن ـ معلمتهما الخاصة ـ في بعض المظاهرات ضد الجراحة التجارية، و كتبت مقالة نعدية لاذعة ضد عجرفة الإنسان الحديث تجاه البيئة بعنوان أعيدوا الحياة إلى أرضنا الميتة و توفيت سرلا بيهن في ١٩٨م لكن ملحا لكشمي لا يزال يعمل بإخلاص لصالح المرأة و البيئة في كوماون تحت قيادة تلميذتها رادها بهت

و في نهاية المطاف نقوم بدراسة سريعة و تامل في سيرمرجوري سانكيس و لاري بيكر كانت سانكيس عالمة تربوية و خبيرة بيئية، و شغلت أستاذة بجامعة سانتي نكيس خلال إقامتها في الهند خمسة عقود، و سكنت في وردها و قامت بترجمة أعمال طاغور و غاندي و شاركت في تاليف سيرة سي ليف اندريور و تعتبر أول و اهم مؤلف في الموضوع ـ و أخيرا انضمت إلى حركة أنهاد نهر نرمدا و عمرها تسعون عاما غير أنها تعرف في بعض الأوساط لخدماتها خبيرة لمدرسة البنات الرائدة بهضاب نيل غيري في جنوبي الهند. أما بيكر فقد جا إلى الهند بعد الحرب العالمية الثانية كمهندس معماري، و كان قد عرف غاندي و قرأ حول حياته و تأثر به و تزوج بطبيبة مليالية، و فتح الإثنان عيادة في داخل محافظة بتورا غار على تخوم نيبال. و انتقل الزوجان أخيرا إلى موطن السيدة بيكر في ولاية كيرالا، و كان لاري بيكر قد بلغ من عمره ستين سنة في ذلك الحين و الهنود عادة ما يتقاعدون في ذلك السن، لكنه عاد إلى مهنته الاولى و تجدد وعيه المعماري و انتعش بكشفه منازل للفلاحين التقليدية في

الهند. و اشتهر في انحاء الهند بيراعته الفنية في بناء المباني التي امتازت بابتكارها و تساوقها مع البيئة و كونها منخفضة التكلفة فوق ذلك فكان يبني المنازل للعلماء كما يبنيها للقرويين الذين شردتهم الزلازل. و لا يزال يعمل إلى يومنا هذا و ينتقل في البلاد و يسافر و يبني و عندما قامت الهند بتفجير عبوات نووية في مايو ١٩٩٨م و غمرت الصحافة الهنديه موجة من البهجة و الطرب، هز ذلك مشاعره هزا و كان رد فعله ينم عن اهتمامه بالمواقف البيئيه لمثل تلك الممارسات فذكر بلاد الهند بما قاله الوطني الأعظم المهاتما غاندي عن القنبلة الذرية: إنها أكبر خطيئة إرتكبها العلم قط

و قد أدلى الدكتور صموئيل جونسون مرة بملاحظة شهيرة أن الوطنية هي آخر ملجأ يفزع إليه الأوغاد، و الحقيقة أنها الملاذ الأول كذلك للمهتمين بالبيئة و قد كنت أمر بشوارع مدينة سمله مرة قبل سنتين إذ لفتت انتباهي لافتة المصلحة الحرجية لولاية هيماتشل برديش، و كانت العبارة التالية مكتوبة عليها: إغرسوا الأشجار لجلب الرخاء إلينا. هذه هي توصية فيدا و بورانا و الواقع انه لا يقل عدد الهنود الذين يعتقدون و يقولون أن مصدر الحركه البيئيه هي كتبهم المقدسة، لكن الغانديين يعزون الفضل في إنشاء ناموس البيئة الخضراء إلى المهاتما غاندي. لما القول بأن الفيداوات مصدر للوعي البيئي فيه توسع الى حدما بل يكاد يكون خارجا عن حدود المعقول. غير انه لا مرا في حقيقة أن غاندي و خاصة تابعه جي . سي كمارابا قد كتبا في وقت مبكر ببصيرة نافذة حول ضرورة إدارة شئون الموارد الطبيعية باقتصاد و تناسب متزن، و ضرورة كبح الإتلاف لصالح الكرة الأرضية . و كذلك كانت العالمة الاجتماعية راذها كمل موكرجي من الهنود الذين نضج شعورهم قبل أوانه بخطورة القضية البيئية. قام جميع هؤلاء الأوربيين الذين أسلفنا ذكرهم رحالا

و نساء بإسهامات فذه في تطوير الفكر البيئي في الهند و كانت هذه الإسهامات متنوعه الجهات و في مجالات مختلفة من الحراجة الاجتماعيه إلى الزراعة المقتصدة إلى الإسكان المتناسق مع البيئة إلى تدبير شئون المياه باقتصاد و إلى التخطيط البيئي للمدن ـ فمن حاول أن يرسم شجرة نسب الحركة البيئية الاهليه بصحه و أصاله فانها لا يستطيع أن يغفل بأى حال أولئك الشخصيات البارزة الجبارة من باطريك غيديس و بيتريس براندنس و فيرير ايلوين و مادلين سلادي و البرت هووارد و كاثرين مارى هيلمين و مارجورى سانكيس و لارى بيكر ـ ممن استعرضنا جهودهم في هذه الدراسة ـ بل إنه لابد أن يعترف بدورهم الريادى في بث الوعي البيئي في الهند و نقف معهم وقفات تأمل و تقدير

تعريب الدكتور عبد الماجد القاضي

❖❖

تاثير الهند في الثقافة العربية و ادابها

بقلم د ـ سعيد الزبيدي

قسم التاريخ ـ كليه الاداب جامعه بغداد

لقد كان للهند و العرب صلات ثقافية و حضاريه متبادلة في الفترة الإسلاميه و لان الثقافه حقل تتلاقح فيه الافكار و الارا و تنضج بالعطا المتبادل فكما اثر العرب في الثقافة الهندية كان للهند اثر في الثقافة العربيه ايضا فلغة الحوار بين الحضارات لغه عقلانيه و ناضجة و اساس حيوية الامه و قوتها الحضارية

و قد اثرت الثقافة الهندية في الثقافة العربية بعد ان بدات الصلات الوثيقه بين الامتين و كانت اوائل هذه الاتصالات في عهد ابو جعفر المنصور ٥٥هـ/٧٧١م الذي استعمل في بلاطه علما الهند للاستفادة من تجاربهم و علومهم، و من اشهرهم العالم مانكا Manka الذي احضر معه رساله في الفلك تسمى "السدهانت" و عرفها العرب بـ السند هند ولم تقتصر الامر على ذلك بل شمل مجالات اخرى كالحساب و الفلك و التصوف و الطب و الكيميا و العقائد و الفلسفة و الادب

و في مجال بحثنا هذا نركز على التاثير الهندي في الادب العربي و فنونه المختلفه، فقد التقت الثقافات العالمية اليونانية و الهندية و الفارسيه مع الثقافة العربية في بلاط الخلفا العباسيين عن طريق الترجمة و ترجمت كتب

ثقافة الهند

عديدة من الهندية إلى العربية مثل كليلة ودمنة و السندباد الكبير و السندباد الصغير و لعب الهند و الصين و حائل في الحكمة"، و الهند في قصة هبوط آدم عليه السلام و "الديك الهندي في الرجل و المرأة و حدود منطقة الهند و سانيرم و شاناق في التدبير و "بيدبا في الحكم

و ساعدت الكتب الهندية في حركة الأدب في العصر العباسي و نالت عجائب الهند موضوعات مهمة في الأدب العربي و لاسيما في كتاب الجاحظ أعظم الأدباء العرب و في كتابه الحيوان وصف أشهر الحيوانات في بلاد الهند و الطيور أيضاً و منها الفيل و الطاووس و الببغا و الدجاج و الكركي و الديك الهندي و ذكر فضل الهند في الحساب

و أشار ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار إلى الهند و ما فيها من أشجار و أورد ما المسعودي في مروج الذهب و المعلومات الجيدة عن رحلاته و ذكر عن الفيل بالهند و وصفها و مكانتها و ذكر أيضا الشطرنج و الزمرد و عرق الفيل في الهند

و نظم الشعراء العرب في تجاربهم عن الهند في شعرهم و الأمثال السائدة و الحكم الهندية فتفاعلت الثقافتان العربية و الهندية بشكل واضح و مؤثر و تركت الثقافة الهندية آثارها في الثقافة العربية و دخلت النظريات الفلكية عبر اللغة العربية مثل كتاب السندهند و دخلت كلمات كثيرة في العربية مثل الزيج هندسة انتقلت إلى العربية، و أصبح لهذه المصطلحات أثرها على الشعراء العرب الذين ذكروها في قصائدهم و وصفوا إعجابهم بها ، و منهم الشاعر الشهير أبو نواس و في النثر العربي إشارات إلى التأثر بالأدب الهندي، و تعرض الكتاب العرب إلى موضوعات عن الهند و الأنهار و المدن و الأقطار

و الفلسفه ايضاً و اعجب الشعرا العرب بـ نظرية التناسخ مثل صفوان الانصاري و المتنبي و ابي العتاهية و ابو العلا المعرى الذي تاثر بالشعر الهندي، و تاثر بالبراهمة و التناسخ

و اثرت الهند في القواميس العربية و منهم الخليل بن احمد الذي وضع معجماً بالعربية متاثراً بالهنود في ترتيب لغتهم و يساند هذا الراي البيروني الذي اكد ان الخليل بن احمد ربما سمع أن الهنود لهم موازين في الاشعار و يستدل على ذلك ان ابن النديم ذكر عدة كتب هندية ادبية ترجمت إلى العربيه منذ عصر مبكر ادب الهند و الصين و حدود المنطق و غيرهما و يحتوى على افكار لغويه و ادبية و قد دخلت افاق الثقافه الهندية في الادب العربي في بعض مجالاته مثل النثر العربي و البلاغة و البديع و تفتحت افاق الكتاب العربي واتسعت معلوماتهم و مناهجهم و ثقافتهم و لا سيما الجاحظ الذي استفاد من الوان الثقافة الهندية و اليونانية و العربيه و جمع بينها في الفلسفه و الديانات و الحكمة و المشاهدة

و استفاد العرب من الانشطة العملية للهند مثل الشطرنج الذي اشتهر في كل انحاء العالم ثم اثر القصص الهندية في الواقع العربي بكل إعجاب و حماس سواء الشعر التقليدي أم الحديث ام السمعي، و نقلت الكتب و القصص الهندية مثل الف ليلة و ليلة لعبت فيه الهند دورا واضحا و فيه ملامح الهند واضحة بمختلف الالوان، و القصص الشعبية، و فيها قصص تدور حول السحر و عبادة الشمس الهندية الاصل، و عقيدة التناسخ و قصصها الهندية الاصل و خضعت القصص الهندية في الف ليلة و ليلة إلى مؤثرات عربية من اسما و اماكن، و الاوضاع الاجتماعية ايضا و المؤثرات العربية واضحة فيها لإتقانها على اصالتها

و نالت الهند الاهتمام في كتب المؤرخين العرب و الرحلات العربية و الفكر العربي و ادابه و ثقافته و من بين هؤلاء الرحالة التاجر سليمان السيرافي السائح العربي الذي ساح في الهند سنة ٢٣٧هـ و في كتابه سلسلة التواريخ نقل تقاليد و عادات الهنود و حكمهم و ابو زيد السيرافي و رحلته من سيراف إلى الصين ثم الهند سنة ٢٦٤ هـ و نقل حياة الهند و تقاليدها و طقوسها و ابو دلف مسعر بن المهلهل و وصل عبر الصين إلى الهند و وصف للصناعات و المزروعات الهندية و المدارس الهندية

و بزرك بن شهريار السائح إلى الهند عبر الصين و سجل مشاهداته عبر الهند و كجرات في عام ٣ هـ و أبو الحسن علي المسعودي صاحب مروج الذهب وصف الانهار و الاديان في الهند و سواحل الهند و اللغات الهندية و بلاط الملك "كهمبايت" في عام ٣ ٣هـ و نشاط التجار المسلمين في الهند.

و ابو اسحاق الاصطخري في رحلاته في بلاد الهند عام ٣٤ هـ في كتابه الاقاليم و المسالك و الممالك و ابن حوقل الذي رحل من بغداد للأندلس و صقليه ثم الهند و وصف بشكل شامل الهند في خارطته الشهيرة و مساكنها و مناطقها مثل كشمير و التبت وغيرها

و شمس الدين ابو عبد الله المقدسي من الرحالة العرب في قرطبة و جغرافي معروف، و رحل للهند و وصف السند و الملتان بشكل دقيق في عام ٥٢٧هـ و ابو ريحان البيروني عالم الفلك و الرياضيات الشهير و الرحالة و له فضل كبير على الفكر الهندي و وصف الهند وصفا دقيقاً ادبيا و علميا في كتابه تحقيق ما للهند مصدراً هاماً في الدراسات عن الهند، و وصل الهند في عهد محمود سبكتكين الغزنوي و ظل بها عشر سنوات، و تعلّم اللغة السنسكريتية، و ترجم بعض الكتب إلى اللغة العربية في موضوعات كتبت بهذه اللغة

و قام بعدة تجارب في الهند لمعرفة مساحة الأرض، و توصل إلى نتائج عدة و تحدث عن العلوم السنسكريتيه على اختلاف انواعها كالصرف و النحو و الفلك و النجوم و الديانة و عن اشهر المدن الهندية و ذكر عرض الهند و طولها و أشهر بلدانها و المقارنة بينها و بين المدن الأخرى الشبيهة لها

و كان لهؤلاء المؤرخين دورهم في الاهتمام بالهند في العلوم و الافكار و الفلسفة مثل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) صاحب كتاب الحيوان و أحمد بن يعقوب (ت ٢٩٢هـ) صاحب كتاب تاريخ اليعقوبي و قال فيهم الهند اصحاب حكمة و نظر و هم يفوقون الناس في كل حكمه و قولهم في النجوم أصح الاقاويل و صاعد الاندلسي (ت ٤٦٣هـ) خصص بابا للهند قال فيه اما الأمة الأولى - الهند لمة كبيرة العدد عظيمه العدد فخمة الممالك قد اعترف لها بالحكمة و اقر لها بالبروز في فنون المعارف جميع الملوك في العهود السابقة

و ابن خرداذبة المقرب من الخليفة المعتمد بالله في كتابه المسالك و الممالك وصف الطرق البحرية في الهند و الفرق الدينيه فيها ايضاً و تعرض لها ايضا الجروني قدامة بن جعفر و الكندي و الهمداني وغيرهم

و هكذا كان التبادل الحضاري و الثقافي قائما بين الهند و العرب في العصور السابقة و تبادلوا الحوار و السمر و الترحال، و تناقل العلوم و تبادل الاداب و الاهتمام بالحكمة و الفلسفة و العلوم

المراجع

١ احمد امين ظهر الإسلام ج ١

٢ د. شوقي ضيف الفن و مذاهبه في الشعر العربي.

٣ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي.

٤ الجاحظ، الحيوان، ج٧

٥ المسعودي، مروج الذهب.

٦ أحمد أمين، ضحى الإسلام/ ج١

٧ محمد إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند البلاد العربية.

❖❖

أهمية اللغة العربية

بقلم الاستاذ نثار احمد الفاروقي

جميع اللغات لها أهمية لأنها تكون مرآة لثقافة قوم أو منطقة جغرافية و مدنيتها و أخلاقياتها، و يمكننا أن نرى في هذه المرآة صورة منعكسة كاملة لاقتصادهم و اجتماعهم و إن شأن اللغات شأن العمران البشري ينقسم الناس إلى شعوب و أقوام و هم يقيمون في مناطق جغرافية، و تتشعب القبائل من الشعوب و القبائل تتفرع إلى أسر و عائلات، و الأسرة تتكون من أشخاص و أفراد، و بين الأشخاص يتمتع بعضهم بالنفوذ و الفعالية و تمس الحاجة إليهم في كل حين و آن و بعض منهم يحتاج إليهم في حين من الأحيان ثم لا تعار لهم أية أهمية و بعض منهم يعيش حياة طويلة و بعضهم يقوم بأعمال يذكر بها بعد موته و البعض ينتقل إلى جوار ربه في شرخ شبابه و البعض يذبل ساعة تفتحه يعني يموت في نعومة أظفاره و بعض منهم يولد ميتا و بعض منهم يكون معروفا لدى كل شخص و البعض يتعرف عليه الناس بعد سنوات وغيره

الآن طبقوا كل ذلك على اللغة، إن اللغات أيضا منقسمة بين مناطق جغرافية ولها أيضا أسر مثلا أسرة اللغات السامية و أسرة اللغات الآرية و اللغات الدراويدية و ما إليها إن الألفاظ و الكلمات أفراد هذه الأسر، بعض الكلمات يحتاج إليها الناس كل وقت، و تكون معروفة لديهم جميعا و هي من جهتها تكون مأنوسة بهم مثل كلمات الأم و الأب، و الأخت، و الأخ، و الزوجة، و الابن، و البنت و ما إلى ذلك و هذه هي حال الكلمات المترادفة لها في سائر

اللغات و بعض الكلمات لا يعرفها إلا قلة من الناس مثل كلمة "قرع أبيق" التي تطلق على الآلة التي يستخرج بها العرق فإن سألت عنه شخصا غير الطبيب فيقول إنه لا يعلمها على الإطلاق و بعض الكلمات يستأنس بها جميع الناس مثل الورد و الطيب و النار و الماء وغيره، و بعض منها تكون غير معروفة على الاطلاق و يحتاج حتى أوسط الناس علما لمعرفتها إلى مراجعة المعجم انه لا يمكن أن تعرف مزايا الإنسان و مؤهلاتهم في نظرة واحدة بل ربما تتكشف محاسن سيرته و أعماق شخصيته في سنوات عديدة و كذلك تتضمن الكلمات عالما من المعاني و المفاهيم و يختلف الناس كما و كيفا في استكشاف هذه المفاهيم و المعاني

اللغة العربية احدى لغات الأسرة السامية و العبرانية بنت خالتها و لا توجد الآن لغة حية تتصل بـ صلة الدم باللغة العربية، و اللغة العربيه لاتزال حية ينطق بها و سر ذلك أن كلام الله (القرآن المجيد) نزل في هذه اللغة و اذا قمنا اليوم بتحليل دقيق بالنظرة الثاقبة فنخلص إلى أن تقدم العلم و الفن و ازدهار العلوم و التقنية جميعها الذي نشاهده اليوم انما هو بفضل القرآن الكريم و من معجزاته إن أول كلمة للقرآن نزل بها الوحي هي كلمة اقرأ و القراءة تستلزم أن يكون هناك شي مكتوب و إلا لكان جبريل عليه السلام قال قل ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول ما أنا بقارئ ، و هذا يعني أن جبريل قال هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و جعل اللوح المحفوظ أو جزءا منه في موقع عينيه و القرآن أيضا قد أشار إليه بقوله في لوح محفوظ

إن القرآن كتاب أساسي للإسلام و نحن نؤمن بكل ما يتضمنه هذا الكتاب و هو أكبر مصدر للأحكام الشرعية و إن الرغبة في طلب العلم التي نشأت في

أهمية اللغه العربية

المجتمع الإسلامي بعد مشرق نور الإسلام إنما كان دافعه عاطفة قراءة القرآن و إقراءه بصورة صحيحة، و فهم القرآن و إفهامه بصورة صائبة و لهذا السبب بعينه تم تدوين أشعار الجاهلية التي كانت تنتقل بالروايات الشفهية منذ ذلك العهد و رتبت قواعد النحو العربي، و حققت اللغة و اشتقاقها و فحصت الآداب اليهودية و النصرانية لمعرفة تفاصيل قصص الأنبيا السابقين و أسماءهم و أنشئت حلقات التدريس و التعليم في جميع أنحا العالم الإسلامي فظهر إلى حيز الوجود فن التفسير مثل تفسير جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري الذي يسمى أم التفاسير و حتى مستهل هذا القرن وجد عشرون ألفا من تفسير و ترجمة للقرآن الكريم بين مطبوعة و مخطوطة و قد انضمت إليها إضافات مهمة كبيرة في هذا القرن أيضا فلو قلنا أن هناك خمسة و عشرين ألف تفسير و ترجمة في الوقت الراهن لما كنا مغالين في ذلك، بينما كم من كتب التهمتها يد الدهر خلال أربعة عشر قرنا فضاعت أو اضيعت

إن عربية القرآن الكريم في الدرجة القصوى من الفصاحة و كل كلمة استعملت فيه أصح و أفصح لغة و قد سعى جماعة من المستشرقين في هذا القرن ترويج العامية على العربية الفصحى، و كان ذلك في الواقع ستارا لإبعاد الأمة الإسلامية من لغة القرآن، و لكن هذه المؤامرة لم تتكلل بالنجاح توجد اليوم لهجات عديدة للغة الدارجة في العالم العربي و لكن العربية الفصحى هي التي يفهمها كل شخص من اليمن إلى المغرب و هذا أيضا من إعجاز القرآن الكريم لم تزل تطرأ تغييرات بارزة على اللغات الأخرى للعالم نحوا و لهجة و أسلوبا فنرى اللغه الأردوية التي استعملها غالب و مير و ولي مختلفة من أردوية اقبال و فيض" كما نجد فارقا واضحا بين الانجليزية التي كانت رائجة على عصر تشوسر و ديكنز ، و كما نجد فارسية رودكي

و عنصرى" مغايرة عن فارسية فرح زاد ولكن عربيه العرلى و عربية الدكتور طه حسين أو عربية المنفلوطي و أحمد امين متساوية لهجة و قواعد و إن تغيرت اسلوبا و بيانا

و الميزة الاخرى للغة العربية هي وجود تراث الأحاديث النبوية على صاحبها الصلوة و السلام فيها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا افصح العرب و العجم" و قال أوتيت جوامع الكلم و من المعجزات الباعثة على العجب أن اللسان المبارك الذي نطق بكلمات الوحي و جمع القرآن الكريم هو الذي نقلت الاحاديث عنه غير أن لهجتهما و طبيعتهما و طابعهما و طبيعتهما مختلفة جدا و كل من تعلم اللغة العربية لن يخلط آيات القرآن الكريم بأحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم

ثم يوجد تراث المغازي و السير الذي جمع فيه الرواة البالغ عددهم خمسماة الف و خمسين الفا تقريبا كل التفاصيل ثم يوجد الفقه الإسلامي الذي قد جمع فيه الفقها في ضوء القرآن و السنة جميع احكام الحلال و الحرام و المباح و المحظور، و كل من يريد أن يتعرف على الإسلام معرفه كاملة فلا يمكن له أن يفهمه بغض النظر عن القرآن و السنة و الفقه

هذه هي اهمية اللغة العربية من الناحية الدينية و هي تتمتع بالأهمية العلمية أيضا فقد بدا فن التاريخ أول ما بدأ في اللغة العربية فتتضمن مؤلفات الخطيب البغدادي و ابن عساكر، و البلاذري و المسعودي و "الطبقات الكبرى" لابن سعد و تاريخ الأمم و الملوك لابن جرير الطبري تفاصيل كاملة للعالم الإسلامي فلو درسنا هذه الكتب بامعان النظر فيتمثل التاريخ الإسلامي الممتد على خمسة عشر قرنا أمام عيوننا كاننا نشاهده في الفيلم

أهميه اللغة العربية

و إلى ذلك إن طب العرب الذي نسميه اليوم الطب اليوناني يوجد مراده الأساسي كله في اللغة العربية و إن الأوربانيا أيضا قائم على كتاب القانون للشيخ ابن سينا الذي لم يزل جزءا للمنهج الدراسي الطبي بأوروبا لسنوات عديدة

و كذلك قام العلماء العرب بنقل كتب يونانيه في فن الرياضيات و الهندسه و الفلسفة و المنطق و النجوم وغيرها إلى اللغة العربية و ألفوا مؤلفات أصيله لهم أيضا في هذه الموضوعات إن منزله ابن خلدون في فن التاريخ غير منازع حتى الآن، و لم يستطع أحد أن يقوم بتحليل التاريخ كما حلله ابن خلدون و إن أساس فلسفة التاريخ لـ توين بي أيضا يرجع إلى ابن خلدون كما لا يمكن أن يحط أحد من أهمية مآثر ابن رشد و ابن ماجة و ابوحيان التوحيدي في الفلسفة و هناك علوم و فنون أوجدها المسلمون لاغير، مثل أصول العقائد، و أصول التفسير و أصول الحديث، و أصول الفقه و علم الكلام و علم أسماء الرجال و ما إلى ذلك.

و الآن ننظر إلى الأهمية الثالثة و هي الأهميه الأدبيه للغة العربية فحينما قرضت الأشعار و كتبت النثور و قصت القصص في اللغه العربيه كانت كثير من لغات العالم في سبات عميق إن أكبر و أغنى تراث أدبي في الشرق هو ما تحتفظه اللغة الفارسية و لاشك في أن أية لغة يحق لها أن تكون فخورة بشعرا مثل فردوسي و "أنوري و "سعدي و "حافظ" وغيرهم و لكن كلمه الشعر و "الشاعر جاءت من العربية و الرديف و القافية أيضا كلمات عربية و فكروا في أي مصطلح أدبي من غزل، و قصيدة، و مثنوي، و رباعي و هجو و مدح، و مرثية و طنز و مزاح تجدون أن أصلها يرجع إلى اللغة العربية إن لفظة "الأدب نفسها عربية، و إن كلمات مثل الأسلوب، و الطرز، و الفصاحة و البلاغة، و السلاسة و الصنائع و البدائع كلها نشأت في حضن اللغة العربية

و إن اللغة العربية هي التي زودت فن الشعر بمعظم رموزها محتوياتها و إن بحور الشعر هي الاخرى استعيرت من اللغة العربية

و الاهمية الرابعة هي ما يتصل بالجانب اللغوي و من مزايا اللغة العربية انها تحتوي على الايجاز و الإطناب اي انه يمكن ان يعبر عن شيء واحد بكلمتين او بمائة كلمة ايضا و هي اقوى لغات العالم و اكثرها تاثيرا و اشدها روعة و بيانا للخطابة إن اللغة الانجليزية قد اصبحت اليوم لغة عالمية و لكنها تتميز بكونها لغة التصريح المكبوح (Under statement) و من خصائص اللغة العربية ان الالفاظ تتغير فيها بسبب الإضافة او الصفة فمثلا إن كلمات الانس و المحبة و الوله، و الغرام مدارج مختلفة لعاطفة واحدة إذا ذهبت بالناقة إلى المورد لتسقيها فتستعمل كلمة إيراد و إذا رجعت بها بعد سقائها فتستخدم كلمة إصدار و في هذه الأيام تستخدم كلمتا الإصدار و الايراد لـ امبورت و ايكسبورت كما نجد للناقة او للسيف اكثر من مائة كلمة في اللغة العربية إن قواعد اللغة العربية اكمل و اشمل بحيث انها قد استوعبت اللغة كلها لا توجد اية قاعدة للتذكير و التانيث في اللغة الأردية، و إن الناطقين بها يميزون بينهما بحد سهم ان هذه اللفظة تستعمل مذكرا، و تلك الكلمة تستخدم مؤنثة و اما في العربية فقد توجد اوزان عديدة للتانيث و الجمع المكسر و للجمع و جمع الجمع و للتفضيل و التصغير إن كانت لفظة تدل على معان عديدة في مفردها فيختلف جمع كل معنى من المعاني، مثل نفس يكون جمعه نفوس، و نفس يجمع على انفاس و من خاصية العربية ايضا ان كل كلمة فيها تتكون من مادة تشتمل على ثلاثة حروف و إن كانت الكلمة فعلا فهي تتفرع إلى عشرة ابواب للمزيد فيه، كما تتشعب منها مشتقات اخرى، مثلا إن مادة فعل يصاغ منها باب "تفعيل و افعال و افتعال و انفعال

و استفعال وغيره للمزيد فيه كما يصاغ منها اسم الآلة على وزن مفعال و اسم التفضيل على وزن أفعل و فاعول و اسم المبالغة على وزن فعال و اسم الظرف على وزن مفعل و ما إلى ذلك فلو عرف انسان مادة ثلاثية الحروف و كان على علم بهذه الأوزان فيمكنه أن يفهم بواسطه معرفه هذه المادة معاني خمسين كلمة مشتقة و هذه خاصية لا توجد إلا في اللغة العربية

و مع أن العربية لغة أهل البادية، و لكن من ميزة هذه اللغة أن لغة البدو أفصح و أجدر بالثقة و الاعتبار و لما خرجت هذه اللغة من جزيرة العرب بعد طلوع شمس الإسلام فأيما لغة احتكت بها صبغتها بلونها و تركت عليها طابعها فاللغة الفارسية لاتزال تحتفظ نحو خمسين في المائة من كلماتها التي يرجع أصلها إلى اللغة العربية و أن سبعين في المائة من الأسماء المستعملة في اللغة الأردية مستعارة من اللغة العربيه و أما أفعالها و حروفها فهي ذات أصل هندي. و لا يختلف الأمر في اللغة التركية فقد تتضمن الآفا من الكلمات العربية و إن لغة الهوسا التي هي لغة أفريقيا الشمالية أو لغة سواحلي فهي أيضا مدينة للعربية

الآن ننظر إلى اللغة الهندية إن كلمة هند جاءت من العربيه و بلدي ذي بيه لم يكن العالم العربي يعرف إلا السندھ فقط و كانوا يسمون هذه البلاد "السند وطبقا لعلم اللغة إن صوت س و "هـ يعوض بعضه عن بعض كما في كلمتي سبتاه و هفته" (الأسبوع) أو في كلمتي سونا و هن (الذهب) فاستبدل حرف س في السندھ بالها و ضمت إليه لفظة ستان الفارسية، حتى أصبح هندوستان" و ليس جزءها الأول هندو بل هو هند" يعني اسم هندستان مركبة من كلمتين هند و ستان"

و وفقا لقواعد اللغة العربية تضاف لاحقة الياء إلى آخر كلمة لبيان النسبة مثلا يصاغ عربي من عرب و "فارسي من "فارس و هكذا صيغ هندي من هند فلا يمكن للغة الهندية أن تكون بمنأى من تأثير اللغة العربية و إن كلمة هندو هي الأخرى كلمة عربية فـ هند فيها مبدل من سند و الحق به وي للنسبة وفق قواعد الفارسية ثم حذف حرف اليا بكثرة الاستعمال و بقي الواو فقط فصار هندو

و بالاختصار فما من لغة من اللغات الكشميرية، البنجابية، البستو، الهندا السندية الجراتية المراتية، التيلغو، المليالية التاميلية، الكرية البنجالية، الاسامية للبهوجمورية، الدوغرية و لغة برج، إلا و هي متأثرة باللغة العربيه في قليل أو كثير هنا أضرب لكم مثالا أو مثالين من اللغة الانجليزيه

إن ابجدية اللغة الانجليزيه نفسها مستعارة من اللغة العربية فهي لا تنقص فقط تلك الأصوات العربية التي لا توجد في اللغة الانجليزية مثل ذ، ظ ص غ، و ما إلى ذلك و قد كانت حروف الهجا العربية تكتب في الماضي على طريقة حساب الجمل التي نستخدمها اليوم لمعرفة القيمة العددية للحروف فقط يعني ابجد، هوز، حطي كلمن، سعفص قرشت ثخذ، ضظغ

إن حرف C الانجليزي قائم مقام حرف ج العربي، و حتى اليوم تكتب كلمة جلال في اللغة التركية على شكل CELAL الآن انظروا

ABCD بالمقارنة مع اب ج د

و قد استعملت عدة حروف في الانجليزية في مكان هوز، يعني EFGHIJ فحرف "E" ينوب عن حرف "هـ"، و حروف "FGH" تؤدي صوت "و"، و حتى اليوم نحن نخرج صوت و بحرفي "GH" كما في كلمة THROUGH

وكلمة "THOUGH"، وحرف "U" ينوب عن حرف "ز" وهكذا تستعمل حروف "EFGHIJ" مكان هوز

واما مجموعه كلمن فهي واضحة لا غبار عليها:

"KLMN" "ك ل م ن"

وكذلك مجموعه قرشت

"QRST" ق ر س ت"

واما اصوات ثخذ وضظغ فلا توجد في الانجليزيه فيستعمل للثا حرفا TH ككلمه "THREE" ويعبر عن حرف خ بحرفى KH وحرف ذ بحرفى DH وغيره

وفيما يلى عدة امثلة للكلمات الانجليزية:

CUP في العربية كوب و BUG - بق و TRACK - طريق و CRIME - حرام، و CAMEL - جمل وغير ذلك.

وقد تغير شكل بعض الكلمات العربية لدرجة انه يحتاج إلى تحقيق اصلها فعلى سبيل المثال توجد مادة س ط ر في اللغة العربية ويراد منها كتب ونحن نسمى الخط ايضا سطرا لان الكتابة تشكل خطا ومنها مسطر - يعني اله التسطير وفي الماضي كانت توضع العلامات بخيوط مربوطة على الورق السميك ولكن اليوم لخذنا نستخدم المسطر للأوراق المسطرة يكتب عليها الخطاطون بدل آلة التسطير ويوجد في العربية وزن افعولة الذي يعنى ما يقع عليه شيء نحو "اعجوبة ما يتعجب عليه و اضحوكة" ما يضحك عليه، وعلى هذا الوزن بالذات جاءت لفظة اسطورة التي تعني الامر الذي يذكر" وجمعها اساطير وهي تستعمل الآن في معنى

MYTH (خرافه/اسطورة)، و منه جاء في القرآن الكريم هذا أساطير الأولين و هذه الكلمة بالذات أصبحت STORY في الانجليزية، و إن صوت الهمزة قد يعوض بالهاء فصارت هذه الكلمة HISTORY ، فسائر الكلمات التي تصاغ من STORY أو HISTORY يرجع أصلها إلى اللغة العربية

هذا، و يمكن أن تقدم إليكم أمثلة كثيرة بهذا الخصوص و لكن لا حاجة إلى ذلك في هذا المكان و في هذه الأيام قد اكتسبت اللغة العربية أهمية اقتصادية و معيشيه أيضا فمنذ تم اكتشاف ذخائر البترول في دول الخليج ظهرت الحاجة إلى تشغيل الأيدي الماهرة في كل مجال من مجالات، و كل ما أقول هنا بأنني اشتغل مدرسا في جامعة دلهي منذ الثلاثين سنة الماضية و لكن ما رأيت أحدا من طلبتنا المتخرجين لم يجد وظيفة مناسبة بل إن بعضا منهم يحصلون على الوظيفة قبل أن تعلن نتائج اختبارهم (النهائي)

و عندما أمر المسلم فإنه في كل ساعه من الساعات تحل وقت صلاة في صقع من أصقاع العالم فيؤذن لها و تقام الصلاة يعنى لا نزال تعلو هتافات اللغة العربية و تدوي في الفضا في كل حين و آن

و حينما يولد ولد مسلم فيؤذن في أذنه يعنى إنه يسمع أول ما يسمع كلمات عربية و حينما تصيب مسلما حالة الاحتضار و هو يوشك أن يودع هذه الدنيا، فمرا على مسمع منه كلمه الشهادة لكي يمكن له أن يعيد بنفسه هذه الكلمات أو أن يرتحل عن هذه الدنيا و هو يسمع هذه الكلمات و هكذا إن الكلمات الأخيرة التي تقرع أذنيه تكون كلمات عربية

و هل يمكن أن تكون أهمية اللغة العربية أكثر و أشرف من هذا

تعريب: صفدر علي

❖❖